بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

January 2017 — يناير ٢٠١٧م

العدد الثامن - المجلد الثاني والستون — ربيع الثاني ١٤٣٨هـ

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد ابوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ — ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348 Email: albaas1955@gmail.com

محتويات العدد

العدد الثامن - المجلد الثاني والستون – ربيع الثاني ١٤٣٨هـ - يناير ٢٠١٧م

❖ الافتتاحية :

قراءة في تاريخنا ، قديماً وحديثاً ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

❖ التوجيه الإسلامي :

القرآن الكريم : أنباؤه الغيبية ونبوءاته الصادقة — سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن الحسني الندوي — ٩

جوانب بلاغية في سورة البقرة — د/ راشد عبدالله الفرحان — ١٤

❖ الدعوة الإسلامية :

وظيفة الدين في إصلاح المجتمعات — الشيخ الطاهر بدوي الجزائري — ٢٤

الفوائد الصحية للوضوء في الإسلام — د/ يوسف محمد الندوي — ٢٨

❖ الفقه الإسلامي :

شبهات حول التمذهب الفقهي دراسة تطبيقية — الدكتور عبد الإله بن حسين العرفج — ٣٥

❖ دراسات وابحاث ادبية وتاريخية :

مكة المكرمة — العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٤٤

إطلاق كلمة " المفيد " في مصطلح الحديث — الأستاذ أبو أنس رفيع الله المَرْوَتي — ٥٥

مجمع " دار المصنفين " وإسهاماته في خدمة اللغة ..... — د . محمود حافظ عبد الرب مرزا — ٦٢

الرواية العربية تحت ظل الحضارة الغربية — الدكتور شهنواز أحمد — ٦٨

نبذة عن مساهمة الهنود في النثر العربي في القرن العشرين — الباحث حفظ الرحمن السنابلي — ٧٦

سلوى بكر . . . رائدة في قضايا المرأة في العصر الحديث — الأخ وسيم أحمد الندوي — ٨٤

❖ صور و أوضاع :

إعادة الموازين إلى حقيقتها — الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي — ٩٠

❖ إلى الإسلام من جديد :

أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك — محمد فرمان الندوي — ٩٣

❖ إصدارات جديدة :

" أدب الأطفال العربي في الهند " — الأخ غياث الإسلام الصديقي الندوي — ٩٢

❖ رجل فقدناه :

العلامة الشيخ المفتي الحكيم أحمد حسن خان الطونكي في ذمة الله — قلم التحرير — ٩٩

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

قراءة في تاريخنا ، قديماً وحديثاً !

الديانات التي سبقت الإسلام ، وآخرها المسيحية التي تناولها أهلها بالتغييرات وإدخال أفكار منحرفة فيها ، مما لم تكن تمت إلى المسيحية بصلة ، حتى أصبحت لعبة دينية وسياسية بعدما رفع الله سبحانه المسيح عليه السلام ، ولم يعد هناك من ينفذها في صورتها الأصيلة ، الواقع الذي جعلها فريسة الانتهازات والأوهام ، يفسرها كل شخص حسب ميوله واتجاهاته ، ويحرف تعاليمها كيف ما شاءت الظروف ، ويكيّفها وفق المطالب والأغراض ، ومن ثم فقدت المسيحية جوانب التربية وتزكية الروح ، وظلت ديانة بالانتماء وبالاسم فقط ، تحققت بها الأغراض النفسية والغايات التبشيرية ، التي عاشها الناس قبل الإسلام إلى فترة طويلة وأصبحت مجموعة للتصورات الباطلة ، والوثنيات البغيضة ، ومع تقادم العهد نسيها كثير من الناس ، ووقعوا في مصايد الفكر الجاهلي ، واعتنقوا بكل حمية جاهلية ، تشمل الرذائل من كل نوع في بيئات فاسدة ، شقيت فيها الإنسانية وتمحورت حول مراكز الفسق والفجور ، والمفاخر الكاذبة ومكابرة الحقائق ، وإشعال نيران الحروب ، لأتفه سبب بين مجموعات بشرية وقبائل أثرية .

تركزت هذه الخصال الجاهلية في النفوس والبيوت ، ولدى كل عمل ونشاط ، وترسخت جذور العداء والكراهية بين رؤساء القبائل وأفرادها ، فكانت الحياة قائمة على فوهة بركان لا يُدرى متى سيتفجر وتندلع منه مشاعل النيران التي تبتلع كل متاع قريب أم بعيد ، بهذا النمط الغريب والتطرف العجيب كانت لحظات الحياة تنقضي ، والناس في عُجب وغرور ، لا يميزون بين ما ينفعهم وما يصيبهم بضرر ، وبين ما

بينهم وما يهدمهم ، كانت الآثار كلها تشهد بأن عالم البشر هذا على وشك الانهيار ، وعلى شفا حفرة من الذوبان والفناء الأخير ، ولكن الله تعالى قضى بأن يمنح العالم البشري فرصة أخيرة ، وقرر أن ينال الإنسان شرفاً ، ويستبدل عصر الجاهلية بعصر العلم والنور ويحليه بالعقيدة والإيمان ، فبعث لتحقيق هذا الهدف الأسمى رسوله العظيم خاتم النبيين محمد بن عبدالله الأمين بدين الإسلام الكامل الأخير ، الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم للعالم البشري بأجمعه ، ديناً كاملاً ، خالداً باقياً إلى يوم الدين ، أنزله بشريعة كاملة دائمة لا يتطرق إليها البلى ولا القدم ما كانت الدنيا باقية على وجه هذه الأرض .

كان ذلك أعظم انقلاب في تاريخ العالم لم يشهده الجن والإنس ، إلا لأول مرة ، وقد أثار ذلك في البيئات الجاهلية والمجتمعات المنحرفة عن الطريق دوافع الغيظ والنقمة والاستغراب ، وحاولوا محاربة هذا الوضع الجديد ، وأعلنوا الالتزام بالأشكال المعكوسة التي كانوا يعيشونها ، دون أن يحيدوا عنها قيد شعرة ، ولكن مع مرور الزمن واستمرارية الدعوة إلى دين الله تعالى لانت القلوب ونالت شريعة الإسلام نوافذ إلى النفوس ، وما هو إلا واقع الهجرة إلى المدينة الذي فتح القلوب وزكى النفوس ، وانتظمت الحياة بمنظومة شريعة الله تعالى في جميع مجالاتها ، وجاء الحق وزهق الباطل ، وقامت المجتمعات الإسلامية وتوسعت آفاقها وشملت العالم البشري كله ، وشمل الإعلان السماوي كل ما في هذا الكون ، وارتج الجو شرقاً وغرباً بكمال الدين وتمام النعمة بما أنزله الرب تبارك وتعالى الإسلام ديناً ، لا للإنسان فحسب ، بل للكائنات كلها ، وللحياة كلها وللإنسانية جمعاء " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً " .

فقد كانت هي آخر آية تحمل البشرى للعالم البشري أجمع ، وكأن مسئولية النبوة بلغت إلى الكمال ولم يعد هناك إلا دعوة الناس إلى اعتناق هذا الدين الذي ليس إلا حاجة البشرية بصفة دائمة ، وهو يضمن

السعادة والأمن والسلامة ، ويتكفل بالغلبة والانتصار على الباطل ، وقد جاء فيما روى البخاري عن طارق بن شهاب قال : (جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون آية في كتابكم ، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال : وأي آية ؟ قال : قوله (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) فقال عمر رضي الله عنه : والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عشية عرفة في يوم جمعة) .

ألم تروا كيف أن اليهود أدركوا الحقيقة وتوصلوا إلى أغوارها ، وتأكدوا أن هذا الدين من أعظم البشائر السماوية ، وهو يشمل جميع مناحي الحياة ويغطيها من كل جانب ، وسوف لا يصمد أمامه منهج أو ديانة أو دعوة مهما كانت ، فقد ختم الله تعالى به كل المواصفات البشرية لسعادة الإنسان ، وهو يبلغ من الكمال غاية يعجز العقل البشري عن تصورها ، وتلك هي ميزة الإسلام المعجزة التي أثارت طبائع الحقد والحسد والعداء في نفوس زعماء الديانات وقادة الحضارات المادية ضد الإسلام وأتباعه ودعاته ، ورأوا أن نطاق المعتنقين به لفي اتساع مستمر ، وعددهم يتكاثر حتى أصبح لهم وطن إسلامي متميز ، نالت فيه شريعة الإسلام رواجاً غير عادي ، وهي في انتشار كبير على المستوى العالمي إلى أن غزت القارات الأوربية والأمريكية والإفريقية كلها ، وفقدت النصرانية (المسيحية) قوتها وتأثيرها إزاء دين الإسلام .

هذه الطبائع متمثلة في حملة الديانات ودعاتها والمتحمسين لها منذ القدم ، ولكنها في العصر المعاصر المعاش تعقدت وتضخمت ، وبدأ أصحابها يتظاهرون بالكراهية ودوافع عدم التحمل ضد كل عمل ينتمي إلى الإسلام والمسلمين ، ويتآمرون على الدعاة والنشاطات الإسلامية ، وذلك بكل صراحة وجهارة ، وحسبنا أن نشاهد أمثلة العدوان والظلم في نفس بلدان العالم الإسلامي ، في العراق وسوريا

وأفغانستان وليبيا وفلسطين ومليشيات الحوثيين في اليمن ، وليس ما تجتازه الدول المسلمة وأغلبيات المسلمين وأقلياتهم من عمليات القسوة والاعتداء والعسف والطغيان على أيدي الحاقدين الحاسدين ، والفئات الإجرامية والإرهابية ، ليس ذلك خافياً على العالم ، وهل يتناسى الناس ما قد أعلنه شخص من الخائضين في معركة الانتخابات الرئاسية الأخيرة في الولايات المتحدة أنه إذا انتُخب رئيس أمريكا فسوف يطرد المسلمين منها ولا يسمح لهم بالدخول فيها ، وقد تحقق حلمه وتبوأ كرسي الرئاسة وبدأ يعمر الآن " البيت الأبيض " لتحقيق أحلامه ضد المسلمين تاركاً جميع ما كان يتنعم به من الثراء والرفاهية المنقطعة النظير والمتع واللذات والذخائر من كل شيئ ، تاركاً قصره الشامخ ذا ٦٨/ طابقاً الذي بعض أبوابه من الذهب الخالص ، ومرافق القصر متحلية بالزخارف والمعادن والمجوهرات ، وفيه ما لا يأتي عليه الحصر من التسهيلات الخارقة والنواعم الفارهة ، ولكنه آثر العيش الرتيب في البيت الأبيض ، لأنه معتزم من خلال هذا البيت على تحقيق أحلامه الخسيسة نحو الإسلام والمسلمين ، وما يجري الآن في ميانمار من طرد المسلمين بغاية من القسوة وإخراجهم من منازلهم وإحراق بيوتهم ومساجدهم ومتاجرهم ليس إلا نتيجة نفسية لسياسة القوى العالمية ، ورائدها أمريكا ، قد أشار الرئيس الأمريكي الجديد في بيان نشرته وكالات الأنباء أن الشركات الصناعية التي كانت تمارس أعمالها في الولايات المتحدة منذ مدة ، وتحاول المغادرة إلى دول صناعية أخرى ، هددها الرئيس المنتخب الجديد بعواقب خطيرة إذا هي نفذت إرادتها نحو مغادرة أمريكا ، وصرح بأن الشركات الخاصة بصناعة المكيفات في الولايات المتحدة لا يسمح لها بتوظيف عُمال غير الأماركة ، كما أنه يمهد الطريق لتشديد العقوبات على إيران ، فور ما رشح جيمس ماتيس لمنصب وزير الدفاع ، وهو معروف بعدائه لإيران ، وذلك من جراء فرض عقوبات على إيران من أجل برنامج الصواريخ الباليتسية ، وهدر حقوق الإنسان فيها ، وقد طلب من الرئيس

السابق (أوباما) أن يوافق على تشريع يمدد العقوبات المفروضة على إيران لعشر سنوات أخرى ، لكي يأخذ صورة القانون ، ولعل ذلك لم يأت إلا لكون إيران دولة إسلامية فيما يرى .

أما الظروف المأساوية التي تتوافر في فلسطين ودول الشرق الأوسط فهي ناتجة من التعاون السرّي بين " داعش " وروسيا وإسرائيل وما إليها من البلدان التي توفر الوقود للأعمال الإرهابية من خلال الجماعات التي تغذي الإرهاب وتمدها بالنفس والمال ، ولنا أن نتساءل عما إذا كانت هذه النشاطات الإجرامية لخدمة الإنسان وتطوير وسائل البناء ، والقضاء على كل ما يعانيه العالم البشري من مشاكل في المجالات السياسية والاقتصادية ، وما يواجهه من عوائق في إيجاد جو من الأمن والسلام وتطوير وسائل الحب والإخاء ، وتعمير صرح الإنسانية ورفعه إلى السماء ، فمن المسئول عن ما يجري في حلب من تدميرات عامة وفي الموصل من قتل حرّ وتصفية الأرواح والأموال من غير رادع ، وفي فلسطين من ضرب وفتك ونهب وإرهاب وهتك للأعراض وانتهاك للحرمات الإنسانية ؟ أليس كل ذلك عكساً للبرامج الإجرامية التي تعمدها الغرب ضد الأمة الإسلامية .

نحن نعيش في عالم بشري يتقيد بنظام عادل لا يكاد يحيد عنه قيد شعرة ، ومن لا يدري أن هذا الكون والحياة فيه لم يأتيا في الوجود إلا بقدرة قادر مطلق ، وخالق ليس له ند ولا شريك ، ثم هو الذي وضع دستوراً للعيش في هذه الدنيا ، وذلك هو الدين الصحيح الذي يتمتع أتباعه بالسعادة والأمن والرخاء في هذه الدنيا ، ولهم في الآخرة من الجوائز العالية الربانية ما لم يخطر على بال ، ولا سمعه أذن ولا سبق له مثال .

والمسلمون المعاصرون اليوم بأمس حاجة إلى أن يتعمقوا معاني الدين الحق ومفاهيم الشريعة الإسلامية ، ويبتعدوا عن مزالق النفس والأهواء ، ويصمدوا على جادة الإسلام بالتمثيل الكامل للدين الحنيف الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

ولعل الحقد الدفين في نفوس الفئات الحاقدة ممن سبقوا الإسلام

والذين جاؤا بعدهم والذين يتربصون بالمسلمين الدوائر اليوم زاعمين أن الفرص مواتية لتنفيذ عوامل الضغط والعنف وتدبير كل حيلة لتصفية وجودهم ، ليس ذلك إلا نتيجة فكرهم المريض المضاد لنعمة الإسلام التي شملت الإنسانية بكاملها وبصفة دائمة ، ومما يؤسف له أن هؤلاء المساكين لا يذكرون أن الإسلام في فجر تاريخه كان محدوداً بين عدد ممن وُفقوا إليه ، ولكنه سرعان ما انتشر في جميع أنحاء العالم وانضوى العالم البشري تحت رايته ، وتهزمت الحكومات والحضارات التي كانت ذات سيطرة بالغة وغنية بالقوى المادية والآليات المستحدثة يوم ذاك ، إنما أصبحت رقعة بالية للتاريخ القديم ، وذهبت آثارها أدراج الرياح ، وشمل الإسلام عالم البشر بأسره فاستظل بظلاله الوارفة ، وذاق الناس لذة العدل والمساواة ، وتمتعوا بطعم الإيمان الذي لا يساويه لذة ولا قوة ، وقد وعد الله سبحانه عباده المؤمنين بالاستخلاف في الأرض والتمكين وتبديل الخوف أمناً ، فقال :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) .

صدق الله العظيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم الجليل .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٨/٣/٢ هـ

٢٠١٦/١٢/٢ م

التوجيه الإسلامي

القرآن الكريم

أنباؤه الغيبية ونبوءاته الصادقة

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

إن ما ذكر في القرآن الكريم من قصص الأنبياء السابقين وقصص الأمم والشعوب التي أرسلوا إليها يعد معجزة بمفردها ، وناحية الإعجاز فيها أنه لم يكن هناك من وسائل الاطلاع والمعرفة بها ، ولم يكن لهذه المعلومات والروايات التاريخية مصدر ولا مرجع للرسول صلى الله عليه وسلم إلا فيض العلم الإلهي ، والوحي الرباني .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أمياً ، ومعظم هذه القصص والوقائع ترد في السور المكية حيث لم يكن بإجماع المؤرخين يهودي ولا مسيحي ، أما " ورقة بن نوفل " – الذي كان يقرأ الإنجيل – فقد توفي في السنة الأولى بعد البعثة المحمدية – صلى الله على صاحبها وسلم – كما تصرح به الروايات الصحيحة .

ويذكر أن محمداً صلى الله عليه وسلم اجتمع قبل الهجرة بشخصين مسيحيين : أولهما " بحيرى الراهب " ، وثانيهما " العداس " ، اجتمع بالأول منهما في مدينة " بصرى " من مدن الشام ، وبالثاني في " الطائف " من الحجاز ، ولكن اللقاء الأول لم يتجاوز بضع سويعات ، كما أن اللقاء الثاني لم يكن إلا لدقائق ، وكان عمره عند اجتماعه بالأول ثلاث عشرة سنة ، فكيف يجوز لمن له أدنى مسكة من العقل أن يتجرأ على القول بأنه في هذا العمر الباكر وفي هذا اللقاء العابر (مع حاجز اللغة) استفاد منه تلك العلوم والمعارف الجمة التي شرحها وأفاض فيها مع الصحة الدقيقة والإتقان العجيب بما تعجز عنه حتى الصحف المقدسة نفسها .

وأما عداس فإنه لم يكن عالماً ، وقد تأثر بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم وأعجب به ، فكيف يقوم على هذا الأساس المنهار – رواية ودراية – بناء هذا القياس الغريب أن علومه ومعارفه – صلى الله عليه وسلم – الغيبية التي ثبتت صحتها وقوتها – بعد كل التجارب والكشوف والتحقيقات –

مقتبسة من أولئك الأغمار الذين لا يوثق بشخصيتهم ولا يعتمد عليهم في شيئ، والتي تزيد على أصلها أشياء وحقائق لم تكن منهم أبداً على بال.

إن السراج الذي نفد زيته وانطفأ هل يرجى منه أن يشعل سراجاً آخر ؟ إنه لم يكن عند هؤلاء المسيحيين المساكين الذين يتبجح بعض السفهاء من المستشرقين بتلمذة محمد صلى الله عليه وسلم عليهم واستفادته منهم ، من العلم ما يعتبر علماً سليماً يوثق به ويرجع إليه .

واضح من ذلك – قطعاً – أنه لم تكن عند النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وسيلة للاطلاع على هذه الأخبار المغيبة ، وأنها ليست صادرة إلا من الوحي المأمون ، هذه هي الناحية البارزة من الإعجاز الذي أشار إليه القرآن مرة بعد مرة ، يقول الله عز وجل بعد ذكر قصة ولادة مريم ويحيى عليهما السلام ، وبعد ما سبق قصة مريم عليها السلام بشيئ من التفصيل .

(ذلِكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) .[1]

ويقول بعد قصة طوفان نوح عليه السلام :

(تِلْكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) .[2]

ويقول في تمهيد قصة يوسف عليه السلام :

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) .[3]

ثم يقول بعد عرض هذه القصة الشائقة المفصلة :

(ذلِكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) .[4]

ويصرح في هذه السورة نفسها بأن هذه القصص التي يسوقها ليست موضوعه الأساسي ، إنه يقصد بذلك العبرة ، وتصديق الكتب السابقة وتفصيلها وبيانها .

---

[1] سورة آل عمران : ٤٤ .
[2] سورة هود : ٤٩ .
[3] سورة يوسف : ٣ .
[4] سورة يوسف : ١٠٢ .

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) .[1]

ويرد في موضع على الكفار افتراءهم على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأنه يسوق هذه الوقائع من مذكراته أو نسخته التي استنسخها من قديم ، وتقرأ عليه يومياً ثم يأتي فيعمل بها الناس ، ثم يذكر مصدره الصحيح القوي المأمون .

(وَقَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً) .[2]

كما فنَّد في هذه السورة نفسها فرية الكفار بأنه اختلقه بمساعدة أناس من آخرين ومؤامرة كتاب بارعين :

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَآءُوا ظُلْماً وَزُوراً) .[3]

ويبين القرآن الكريم في سورة القصص أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم يكن موجوداً وقت هذه الوقائع والحوادث ، ولم يكن عنده منها علم ولا وسيلة إليه ، إنما مصدر هذه الأخبار هو الوحي الذي أوحى ربه إليه .

(وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ . وَلَـكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَـكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) .[4]

وقد ذكر في سورة العنكبوت عدم درايته لتلاوة الكتاب ، وأميته ، وأنه بعيد عن بيئة العلم والكتاب ، لا يعرف أسباب العلم ووسائله وأدواته ، فهل يبقى بعد ذلك من ريب في مصدر علمه المعجز للمرتابين المبطلين .

---

[1] سورة يوسف : ١١١ .
[2] سورة الفرقان : ٥ – ٦ .
[3] سورة الفرقان : ٤ .
[4] سورة القصص : ٤٤ – ٤٦ .

(وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) .[1]

دراسة مقارنة بين القرآن الحكيم والصحف السماوية السابقة :

إن الناس الذين كانوا يعتقدون في عصر البعثة المحمدية – على صاحبها الصلاة والسلام – والذين لا يزالون يعتقدون بعد ذلك العصر أو يتظاهرون باعتقاده أن علوم القرآن الكريم ومعارفه مقتبسة من صحف التوراة والأناجيل ، إنهم ليسوا إلا جاهلين بالتوراة والإنجيل أنفسهما ، إن القرآن والتوراة والإنجيل لا تزال توجد على وجه الأرض ، وصحف التوراة والإنجيل – حسب عقيدة اليهود والنصارى – محفوظة منقولة معتمدة ، وليس من العسير اليوم أن نوازن بين القرآن الكريم وبين هذه الصحف ، بل هو أيسر مما كان عليه أمس ، ونستطيع أن ننقد في ضوء هذه الموازنة دعوى حفظ هذه الصحف وصحتها نقداً علمياً .

تفيدنا دراسة تلك القصص للأنبياء والمرسلين التي وردت في القرآن والصحف السابقة أن أي قصة منها في أحدهما ليست مقتبسة من الآخر ، لا شك أن بعض أجزاء الحوادث أو جزئيات القصص تشترك وتتفق في كلا المصدرين مما يدل على أن مصدرهما الأصيل الحقيقي مصدر واحد ، وهو الوحي .

ولكن يتضح من الدراسة البصيرة فيها أنه إن حُفظ شيئ منها فقد ضُيعت أشياء وفقدت حلقات ، ولم تحفظ من عبث الأيدي وتدخل البشر ، فتجد الفرق واضحاً جلياً في أساليب هذه الصحف ومراتب أهمية المحتويات وخطورتها وأسسها فيها .

فالأسلوبان والمنهجان متفرقان كل الافتراق ، تتراأى في أحدهما – وهو أسلوب القرآن الحكيم – عظمة الكتاب الإلهي وجلاله وتأثيره ، وأبديته ، ويلمع منه نور الوحي وسناه ، وتفيد دراسته لأول وهلة أن موضوعه ليس موضوعاً تاريخياً ولا سرداً للأحداث والوقائع ، إنما موضوعه الهدى والعبرة والعظة .

إن تحديد السنين والإحصاءات وعدد الأشخاص وجميع تلك

[1] سورة العنكبوت : ٤٨ .

الجزئيات والتفصيلات التي تتصل بموضوع التاريخ وكتب الأنساب حُذفت منه في جمال وتوازن وإتقان .

واختيرت من القصص تلك الحلقات الخاصة التي تبقى عبرة وموعظة على مر السنين ، يقول الله عز وجل :

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [1]

هذه هي الروح الدعوية الإصلاحية والسمة الربانية التي تجدها سارية في جميع قصص الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم ، إنها إحدى خصائص الكلام الإلهي ، ودليل إعجازه .

والرسول كذلك يحمل ظل هذه الخصيصة في كلامه ، فهو يعرض عن البحوث والتفاصيل التاريخية التي لا تجدي نفعاً في الدعوة ولا تأثير لها على أخلاق الناس وعقائدهم ، إنه يتعرض لتلك الأمور التي تكفل بنجاة الناس وسعادتهم وهدايتهم ، لقد أراد فرعون أن يربك موسى (عليه السلام) في مبحث تاريخي لا طائل فيه ، ولكن موسى (عليه السلام) أغلق عليه باب المناقشة والبحث بطريقة رائعة جميلة ، مع التمسك بدعوته وإظهار رسالته ، قال فرعون :

(قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى) . [2]

وأجاب موسى عليه السلام :

(قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى) . [3]

هذا في القرآن ، وبإزائه التوراة الموجودة ، تقرأ فيها كتاب " السلاطين " وكتاب " التواريخ " و " سفر التكوين " فتجد الصبغة البحتة ، من كثرة السنين ، وأعداد الأشخاص والقبائل ، والتفاصيل الطويلة عن العمارات والبنيان ، ولكنك تؤنس في تضاعيف ذلك أحياناً قليلة شعاعاً من وحي ، ويشهد قلبك أن هذا من ترجمة كلام الله العليم الحكيم .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

[1] سورة يوسف : ١١١ .
[2] سورة طه : ٥١ .
[3] سورة طه : ٥٢ .

جوانب بلاغية في سورة البقرة

بقلم : معالي الشيخ الدكتور راشد عبد الله الفرحان
وزير الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت سابقاً

لما آل أمر بيان الحج إلى تعديد فرق الناس بحسب أغراضهم في الدعاء ، ناسب أن يعطف على ذلك تقسيماً آخر ، يعرف منه مطامح أنظار الناس ليعرف أرباب النفاق من أصحاب الوفاق ، فقال :

٢٠٤ (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) إذا تكلم يظهر خلاف ما يبطن (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) أي أشد في العداوة والخصومة ،والخصام مصدر كالقتال والجدال،وإضافة الألد إليه بمعنى في.

٢٠٥ (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِى الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ) .

(وَإِذَا تَوَلَّى) يحتمل معنيين ، الأول : إذا أدبر عنك وغاب عنك ، والثاني : إذا تولى مركزاً من المراكز كأن يكون ملكاً أو والياً أو ذا سلطة ، (سَعَى فِى الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا) بشتى أنواع الفساد ، (وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ) الحرث إشارة إلى قوت البشر بذهاب ثمرات الزرع ، وذكر النسل إشارة إلى منع التكاثر بالنسبة للإنسان والحيوان ، وفي الآية دلالة على تحريم منع الحمل بالقوة الجبرية .

٢٠٦ (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ).

(أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ) الأنفة والتعالي ، فالباء للتعدية ، وصلة الفعل الذي قبلها ، (لَبِئْسَ الْمِهَادُ) أصل المهاد ما يوطأ للصبي لينام فيه فاستعير منه اللفظ لجهنم .

٢٠٧ (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ).

(يَشْرِى نَفْسَهُ) أي يبيعها ويبذلها ، صار المكلف بالطاعات كأنه باع نفسه من الله تعالى بما نال من ثواب .

٢٠٨ (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِى السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) .

(كَآفَّةً) حال من ضمير الفاعل في ادخلوا ، وهذه حال تؤكد معنى العموم في ضمير الجمع ، وتاء كافة ليست للتأنيث ، وإن كان أصلها أن تدل عليه ، بل دخلت لمجرد كون الكلمة منقولة إلى معنى كل وجميع ، والمعنى ادخلوا في الإسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره ، والسَّلم بفتح السين هو الصلح ، كما في سورة محمد (٣٥) والسَّلم في النساء هو الاستسلام .[١]

٢٠٩ (فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

ختام الآية :

تهديد بليغ لأهل الزلل عن الدخول في السلم .

٢١٠ (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلاَئِكَةُ وَقُضِىَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الامُورُ) .

استفهام بمعنى النفي و (يَنظُرُونَ) بمعنى انتظر ، (إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ) عذابه على حذف المضاف ، أو أمرُه ، كقوله تعالى في الأنعام (أو يأتي أمر ربك) أي عذابه ، وهو يوم القيامة ، وإنه لوعيد وتهديد تتخلع له القلوب وتزلزل له الأقدام .

٢١١ (سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) .

هذا سؤال تقريع وتبكيت ، كما يسأل الكفرة يوم القيامة ، فكم استفهامية خبرية ، وليس المراد حقيقة الاستفهام .

٢١٢ (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

[١] المرجع معاني القرآن للأخفش الأوسط ج ١ ص ١٦٧ .

(زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ) التزيين من حيث الخلق والإيجاد ، إذ ما من شيئ إلا والله خالقه ، وتوهم الذين كفروا في أعينهم ما يرون حسب اعتقادهم الفاسد ، أن الحياة الدنيا بما امتلأت من زينات وشهوات إنها الغاية فلا تقلوها زينة ولا غاية ، ولذلك تراهم (وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ) بأنهم تركوا تلك الشهوات والزينات ، (وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) الأمر سوف يختلف عند الله فيرفع المؤمنين في عليين ، ويضع الكفار في سجين .

الحاجة إلى الرسل :

٢١٣ (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيَاً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ).

كان الناس على دين واحد فاختلفوا ، (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ) أي مع بعضهم ومن لم ينزل عليه كتاب يتبع كتاب من قبله ، (لِيَحْكُمَ) الله تعالى ، والتعبير عن الإنزال بالإيتاء للتنبيه من أول الأمر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق (بَغْيَاً بَيْنَهُمْ) مفعول له .

ما يلاقيه الرسل والمؤمنون في سبيل دعوتهم :

٢١٤ (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) .

(أم) منقطعة الإخبار المتقدم إلى الإنكار المدلول عليه بهمزة الاستفهام ، أي ما كان أن تحسبوا ذلك ، فتقدر ببل ، والهمزة إضراب عن وتظنوا ، (وَلَمَّا يَأْتِكُم) أي والحال لم يجئكم بعدُ ، (أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) ولما كان الجواب بذكر القرب دل ذلك على أن السؤال كان واقعاً عن زمان النصر ، أقريب هو أم بعيد ؟!

٢١٥ (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) .

هذه الآية لبيان ما ينفقون ، من صدقة التطوع ، ومن تجب له النفقة كالوالدين ، ولا تعارض بين هذه الآية وآية الزكاة .

٢١٦ (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) .

(عَسَى) كلمة تجري مجرى لعل ، وهي من العباد للترجي ، ومن الله للترخية .

طباق :

في الآية طباق بين الحب والكره وبين الخير والشر .

ختام الآية :

أي يعلم ما هو خير لكم ، وما هو شر لكم ، وحذف المفعول للإيجاز.

الشهر الحرام :

٢١٧ (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).

(الشَّهْرِ الْحَرَامِ) وهي أربعة: رجب وذوالقعدة وذوالحجة والمحرم، (قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) إثم عظيم عند الله ، وقتال مبتدأ خبره كبير، وجاز الإبتداء بالنكرة لأنها وصفت بفيه، (أَكْبَرُ) تكلمنا عليها في الآية (١٩١).

يَرْتَدِدْ :

(يَرْتَدِدْ) مضارع مجزوم فعل الشرط والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

٢١٨ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) .

٢١٩ (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) .

(إِثْمٌ كَبِيرٌ) أي ضرر عظيم على العقل وعلى المجتمع ، (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) التعبير بالناس دون المؤمنين ، فيه إشارة إلى أن هذه المنفعة في نظرهم تبعاً لاعتقادهم ، (وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) أي أن الضرر الذي يعود على المجتمع والناس من شرب الخمر والميسر أكبر مما يعتده الناس من فائدة مادية أو تسلية في الخمر والميسر ، فتكون الآية من التدرج في تحريم الخمر .

أما آخر الآية (مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ) أي الفاضل عن الحاجة مما تطيب به النفس من قليل أو كثير ، ولا تتعارض مع آية الزكاة التي بينت مصارف الزكاة وفرضيتها ، فهنا عموم وهناك خصوص ، والعام لا يتعارض مع الخاص .

٢٢٠ (فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

(فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) مرتبط بالآية السابقة ، أي فتأخذوا بما هو أصلح لكم وأسهل ، (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ) بالأكل والمعاملة والشراكة فإن الله (يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) تحرج من كان عنده يتيم يرعاه فعزل عنه المأكل والمعاملة ، ولما نزلت هذه الآية ارتفع الحرج .

زواج المسلم بغير المسلمة :

٢٢١ (وَلاَ تَنْكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنْكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) .

المقصود بالمشركين والمشركات الذين لا يجوز للمسلم التناكح معهم عبدة الأصنام أو النار أو الملاحدة الذين لا يعترفون بالأنبياء ولا باليوم الآخر وينكرون وجود الله تعالى ، وكل من لا دين له .

البلاغة : المجاز المرسل :

في قوله تعالى (وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ) المراد بالمغفرة هنا التوبة فالعلاقة هنا المسببة لأن المغفرة سببه عن التوبة .

الحيض :

٢٢٢ (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَآءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اصنعوا كل شيئ إلا النكاح)

يطهرن – تطهرن ، التطهر متكرر في العمر فجاء به على صيغة الفك لأنها أطول ، والتطهر بدني بالنسبة للنساء والرجال .

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (فإذا أصابهن الدم جلسن عن الصلاة ونحوها ، وإذا انقطع اغتسلن وتعبدن .[1]

٢٢٣ (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) .

(حَرْثٌ لَّكُمْ) الحرث هو موضع المزدرع ، وكني به عن الجماع فسماه حرثاً لأنه مزدرع الأولاد كالأرض للزرع ، وفي ذلك إشارة للنهي عن إتيان المرأة في دبرها .

الحلف بالله جل وعلا :

٢٢٤ (وَلاَ تَجْعَلُواْ اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

(عُرْضَةً) العرضة فعلة بمعنى المعروض، جعل اسماً لما يعرض دون الشيئ أي يجعل قدامه، والمعنى لا تجعلوا ذكر الله والحلف به مانعاً لما حلفتم عليه من أنواع الخير، ويكون لفظ الإيمان مجازاً مرسلاً عن الخيرات المحلوف عليها يميناً، واللام في (لأَيْمَانِكُمْ) متعلق بقوله عرضة تعلق المفعولية.

٢٢٥ (لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) .

(أَيْمَانِكُمْ) جمع يمين وهو الحلف ، وسميت بها المعنيين أحدهما أنها من اليمين التي هي اليد اليمنى ، وكانوا إذا تحالفوا في العهود تصافحوا بالأيمان ، فسميت بذلك ، والثاني اليمين القوة ، قال الله

[1] المختارات الجلية من المسائل الفقهية ص ١٦ .

تعالى : (لأخذنا منه باليمين) وسميت بذلك لأن الحالف يتقوى بيمينه على حفظ ما حلف عليه من فعل أو ترك ، والمراد باللغو في الأيمان ، ما لا عقد معه ولا قصد ، وهذا ليس له إثم ولا كفارة .

الإيلاء :

٢٢٦ (لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) .

٢٢٧ (وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

الإيلاء، الحلف، وحقه أن يستعمل بعلى لكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن أي الذين يبعدون من نسائهم موئلين، انتظار أربعة أشهر، والإيلاء أن يقول الرجل والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعداً، أو لا أقربك على الإطلاق، ولو حلف ألا يطأها أقل من أربعة أشهر لا يكون موئلاً بل هو حالف إذا وطئها قبل مضي تلك المدة يجب عليه كفارة يمين، وللإيلاء حكمان حكم الحنث وحكم البر ، فحكم الحنث وجوب الكفارة بالوطئ في مدة الإيلاء إن كان اليمين بالله، وحكم البر وقوع طلقة بائنة عند مضي مدة الإيلاء وهي أربعة أشهر، وتلك المدة ضربها الله للزوج يتروى فيها ويتأمل فإن رأى المصلحة في ترك هذه المضادة فعله، وإن رأى المصلحة في المفارقة فارقها، (فَإِنْ فَآءُوا) أي رجعوا عما حلفوا عليه من ترك الجماع (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).

الطلاق :

٢٢٨ (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

(الْمُطَلَّقَاتُ) المدخول بهن غير الحوامل ، (ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ) أي الحيض، ويطلق كذلك على الطهر لأنه من الأضداد ، وهي ثلاثة شهور، والحامل عدتها وضع الحمل ، (عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) هي القوامة والمسئولية والنبوة والامامة والميراث .

٢٢٩ (الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ

لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَن يَخَافَآ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) .

(الطَّلاَقُ) أي الرجعي المتقدم ذكره .

٢٣٠ (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) .

(فَإِنْ طَلَّقَهَا) بعد التطليقتين المذكورتين سابقاً ، (فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ) أي الطلقة الثالثة (حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ) .

٢٣١ (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوآ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

(وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً) ومفعول لأجله أي لأجل الضرر دون محبة وانسجام وإنما لتعتدوا عليهن .

٢٣٢ (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) .

(فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ) هذا خطاب للولي ، وهذه الآية دليل على ذلك ، وهي تشير إلى الطلقة الرجعية التي انتهت مدة الرجعة فيها ، ورغب كل من الزوج والزوجة المراجعة بالزواج من جديد بعد انتهاء العدة .

في عملية الرضاع :

٢٣٣ (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ، لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن

تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) .

(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ) لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر مثل (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ ، (حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) سنتين، وكاملين توكيد ، وبعد الحولين يصير اللبن كسائر الأغذية ولا يحرم ، (فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) فإن أراد الوالدان الفطام قبل إتمام الحولين من التشاور والاتفاق بين الزوجين لمصلحة الطفل، فلا يستبد واحد منهما بالفطام دون الآخر .

عدة المتوفى عنها زوجها :

٢٣٤ (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) .

(عَشْراً) من الليالي ولم يقل عشرة لأن العرب إذا أبهمت العدد من الليالي والأيام غلبوا عليه الليالي فيقولون : صمنا عشراً من رمضان ، وهذه آية عدة ، قال ابن الجوزي : دخلها التخصيص لأن ظاهرها يقتضي وجوب العدة على المتوفى عنها زوجها ، سواء كانت حاملاً أو غير حامل ، غير أن آية الطلاق خصت أولات الحمل ، فبان أنها من العام الذي دخله التخصيص ، والسلف يطلقون على التخصيص نسخاً .

٢٣٥ (وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ).

التعريض والكناية :

فالكناية تذكر الشيئ بغير لفظه الموضوع له ، كقولك طويل النجاد لطول القامة ، كثير الرماد للمضياف . والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيئ لم تذكره ، كما يقول المحتاج للمحتاج ، إليك جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك ، وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل

على الفرض ، ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما يريده .

المطلقة قبل الدخول ولم يسم لها صداق :

٢٣٦ (لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ، وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ) .

المطلقة قبل الدخول ممن سمي لها صداق :

٢٣٧ (وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) .

(أَوْ يَعْفُوَاْ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) إما أن يعفون أي النساء عن حقهن من النصف فيتركن جميع الصداق للزوج أو يعفو الزوج فيترك لها جميع الصداق ، (وَأَن تَعْفُواْ) خطاب للزوج والزوجة والولي، والعفو حسب الحال.

المحافظة على الصلاة :

٢٣٨ (حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ للَّهِ قَانِتِينَ) .

(الْوُسْطَى) صفة مشبهة ،وهي صلاة الظهر والعصر، لأنها تجمع، ووسط النهار بين الفجر والمغرب ، وقيل هي العصر .

صلاة الخوف :

٢٣٩ (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ) .

صلاة الخوف مفصلة في سورة النساء ، الآية (١٠٢) .

حقوق المتوفى عنها زوجها :

٢٤٠ (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيَ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

أي أن الزوجة بعد وفاة زوجها لها أن تمكث في بيت زوجها ولها نفقة والسكنى لمدة سنة متاعاً ، فإن خرجت فلا جناح عليكم أيها الورثة أولياء الميت أن يستوصوا بزوجته ويمتعوها ، وهذه آية متاع وليست آية عدة لا سيما أن بيت الزوجية قد يضم أولادها.

الدعوة الإسلامية

وظيفة الدين في إصلاح المجتمعات

الشيخ الطاهر بدوي الجزائري

إن مراد الله تعالى في الأديان كلها منذ النشأة إلى ختم الرسالة واحد ، وهو حفظ نظام العالم وصلاح أحوال أهله . فالصلاح مراد الله تعالى ، قال عز وجل : (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ) (البقرة : ٢٠٥) ، وقال على لسان بعض رسله [1] عليهم الصلاة و السلام : " إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ " (هود : ٨٨) وقال : (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) (النحل : ٩٧) . من أجل ذلك لم تزل الشرائع تضبط تصرفات الناس في هذا العالم بقوانين عاصمة عن مغالبة الأميال النفسانية في حالة الغضب والشهوة ومواثبتها على ما تدعو إليه الحكمة والرشد والتبصر في العواقب ، وتلك المغالبة و المواثبة تحصل عند التزاحم لتحصيل الملائم ودفع المنافر ، وعند التسابق في ذلك التحصيل والدفع .

فوظيفة الدين تلقين أتباعه لما فيه صلاحهم عاجلاً وآجلاً مما قد تحجبه عنهم مغالبة الأميال وسوء التبصر في العواقب ، بما يسمى بالعدالة والاستقامة . ثم هو بنفوذه في نفوس أتباعه يحبب إليهم العدالة والاستقامة حتى يبلغوا درجة التطبع عليهما فينساقوا إليهما باختيارهم ، كما قال الشاعر :

لا تنته النفس عن غيها ما لم يكن لها زاجر

ولما كان العالم كله مركباً من آحاد الناس ومملوءا بأفعالهم وهم يقتربون ويبتعدون من هذه الدرجة بمقدار نفوذ سلطان الدين إلى نفوسهم ومساعيهم كان إصلاحه غير حاصل إلا بإصلاح أجزائه القابلة للإصلاح . وهو إصلاح نفوس آحاد الناس ، إذ كما كان المبني على الفاسد فاسداً

[1] أرى أنه سيدنا شعيب عليه السلام الذي بعثه الله إلى قوم مدين ، وأمرهم أن لا يبخسوا في الكيل وأن يقيموا الميزان بالقسط .

يكون المبني على الصالح صالحاً . ثم يلزم أن يكون صلاح الآحاد متماثلاً في أصوله ليمكن التعاشر والتآلف ، فإن الاختلاف في أصول الأحوال النفسانية يجر إلى تعذر الائتلاف . هذه غاية الأديان وسلكت لها مسالك كثيرة ، وهي مثل طرق السائرين تختلف بالطول والقصر ، والسعة والضيق ، والوضوح والخفاء على حسب اختلاف استعداد العصور والأمم ، كي لا يحرج الله الناس بتحميلهم ما لا قبل لهم بتحمله رحمةً منه تعالى ، إذا علم أن في طبع البشر البعد عن إدراك ما لم تتهيأ نفسه لإدراكه . وإن فرضنا استسلامه إلى الأوامر والنواهي فهو لا يلبث أن ينحرف عنها بذهول أو إجفال . فالأديان هي مبدأ إرشاد البشر إلى طرق الصلاح منذ ظهر على الأرض ، ولم تزل تدرجه في درج الارتقاء كما يربى الطفل في نشأته.

وقد علمنا أن انقسام البشر ، وتشعبه ، وتباعد أقطار إقامته ، وصعوبة اختلاط بعضهم ببعض ، وضعف دواعي تواصلهم ، وتعذر أو تعسر أسباب ذلك ، وضعف القوى النفسية بسبب العداوة والبغضاء بينهم بتوهم كل فريق أو شخص أن صلاحه بإضرار غيره ، وحياته بهلاك غيره ، مع ما يضاف إلى ذلك من إغراء الباغين من الزعماء المضللين ، كل ذلك قد فرق جماعاتهم وباعد بين أخلاقهم وعوائدهم وبث بينهم اللجاج والتهارج ، فحال دون الالتئام و الاتحاد والتمازج ، وساعد في التناحر والتشاجر والتنافر والتدابر . فلهذا السبب كانت الأديان والشرائع السالفة قبل الإسلام تجيء خاصة بعشائر ثم بقبائل أو مدن ثم بأمم ، لأنك تجد الدين الذي يناسب حال أمة أو قبيلة لا يناسب حال غيرها إلا أن أصول ذلك كله لا تختلف كما أنبأ بذلك قوله تعالى : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ) (الشورى : ١٣).

وقد صرحت الأديان السالفة كلها والشرائع السابقة بتخصيص دعوتها بقوم معينين، وحسبك أن موسى عليه السلام مع اختراقه أمماً كثيرةً في جهات مرور بني إسرائيل في طريق التيه قاصدين الأرض المقدسة، لم يدع إلى اتباعه غير قومه السائرين معه . ولما جاء عيسى عليه

السلام لم يدع إلى اتباع دينه غير بني إسرائيل ، ولكن أصحابه استحسنوا أن يدعوا من سواهم إلى الدخول في المسيحية وأن يعتزوا بدينهم،والأناجيل شاهدة بذلك . وبعض الأناجيل [1] مثل إنجيل متى يقول : إن عيسى عليه السلام أمر الحواريين بدعوة الناس إلى دينه حين ظهر لهم بعد رفعه في مرأى غير معتاد كما أنبأت عنه الفقرة ١٩ من آخر إنجيل متى.

فإذا أخذ ذلك على ظاهره بدون تأويل لم يكن بعد حجة على عموم دعوة عيسى عليه السلام للناس كلهم لأنه بصلبه في اعتقاد النصارى وبرفعه في الاعتقاد الصحيح قد انتهت رسالته ، فما ورد بعد ذلك عنه من مراء أو رأي فهو مما لا يثبت به شرع ، وإن كانت الدعوة إلى الخير صالحة ، وبهذا الاعتبار يسمى الدعاة إلى المسيحية رسلا أو مرسلين ، كما أشار إليه القرآن في سورة يس : (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُونَ . إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ) (الآية : ١٣ – ١٤) وهم بطرس وبولس ويوحنا . والمراد بالقرية في الآية هي أنطاكيا (مدينة على العاصي من أشهر أنهار سورية) وقد أرسل إليها بولس الحواري . . . ومن الأسباب التي بعثت الحواريين على الدعوة إلى المسيحية أن أورشليم وسامرة وأنطاكيا وما حولها كانت مأهولة بأخلاط من اليهود واليونان وغيرهم وكان فيهم من اتبع النصرانية.

وكان بعضهم إذا خرج إلى وطنه ينشر دعوة المسيح وفيهم من لا يحسن التبليغ فيحرف أقوال المسيح جهلاً أو عمداً . كما أشعرت بذلك الفقرة ٢٤ من الإصحاح من أعمال الرسل الملحق بالإنجيل ، وكان كثير من اليهود الذين اتبعوا المسيح انتشروا أيضا في البلاد المجاورة لفلسطين للتجارة ، فلذلك صار الحواريون يراسلون هؤلاء الأتباع لتصحيح أخبار الدين وإقامة الشهادة بصدق المسيح عليه السلام . ويقول الشيخ الهمام

[1] الإنجيل يعني باليونانية البشارة ، والأناجيل مجموعة أعمال المسيح وأقواله ، وهي أربع روايات وضعها متى ويوحنا وهما من الرسل الاثنا عشر ، ولوقا ومرقس وهما من تلاميذ المسيح عليه السلام .

الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه [1] : " إن إلهام الله الحواريين بتوسيع الدعوة إلى النصرانية في بعض المدن ضرب من الاستئناس لأهل الأديان بتلقي دعوة من رسول يدعو إلى دين عام مع إبقاء فضيلة العموم الحقيقي لدين الإسلام بأن كان توسيع الدعوة في النصرانية ليس ثابتاً عن رسولها المسيح عليه السلام ، بل كان اجتهاداً من أصحابه فصار إرهاصاً [2] لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقاً لاختصاصه بفضل الدعوة العامة . . . وها هو المسيح بنفسه يصرح لبني إسرائيل ويبشر بمجيء خاتم الأنبياء والمرسلين قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) (الصف : ٦) .

❖ وإذا كان الذي شرعه الله من الدين للمسلمين المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم هو ما وصى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ،ففيم يتقاتل أتباع موسى وأتباع عيسى ؟ وفيم يتقاتل أصحاب المذاهب المختلفة من أتباع عيسى ، وفيما يتقاتل أتباع موسى وعيسى مع أتباع محمد ؟ وفيم يتقاتل من يزعمون أنهم على ملة إبراهيم من المشركين مع المسلمين ؟ ولم لا يتضام الجميع ليقفوا تحت الراية الواحدة التي يحملها رسولهم الأخير ؟ والوصية الواحدة الصادرة للجميع : " أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " . فيقيموا الدين ، ويقوموا بتكاليفه ، ولا ينحرفوا عنه ولا يلتَووا به ويقفوا تحت رايته صفاً ، وهي راية واحدة رفعها على التوالي نوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم حتى انتهت إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في العهد الأخير [3] . . .

وصلى الله تعالى على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين .

●●●

[1] أصول النظام الاجتماعي في الإسلام .
[2] - الأمر الخارق للعادة قبل مجيء الرسول بالرسالة .
[3] - انظر " ظلال القرآن " للسيد قطب .

الفوائد الصحية للوضوء في الإسلام

(الحلقة الأولى)

د/ يوسف محمد الندوي[1]

١ . الوضوء والصحة :

الوضوء عبادة إسلامية يتقرب به الإنسان إلى الله عز وجل الذي خلقه وصوره في أحسن تقويم ، يقوم به المسلم استعدادا لأداء الصلوات الإسلامية ، ينظف الإنسان المتوضئ أعضاءه الظاهرية – من الوجه والرأس واليدين والقدمين ومعظم المنافذ الظاهرية من الجسم مثل الفم والأنف والعينين والأذنين ويطهرها مرات وكرات كل يوم – هي التي أكثر تعرضا من غيرها للكدورات الجوية العديدة من أشعة الشمس البنفسجية الخطيرة و الغبار – ويعتبر غسل هذه الأجزاء المعروضة للغبار والجراثيم المنتشرة في الجو من أهم أسس الطب الوقائي حيث تصبح هذه الأجزاء المكشوفة نظيفة بالوضوء ، ويتخلص الجسم من الروائح الكريهة سواء من العرق أو بقايا الإفرازات الأخرى الضارة . فلا مجال ولا فرصة لاقتراب الجراثيم والحشرات فى جسم هذا الإنسان الذي يتوضأ كل يوم مرات وكرات ، يجد الملاحظ فى الوضوء كثيرا من الفوائد لصحة النفس والبدن .

٢ . الصحة النفسية :

ومن الواضح أن الوضوء عملية تطهير أعضاء الإنسان الظاهرية بالماء الطهور، يصطلحه الفقه الإسلامي بأنه رفع الحدث الأصغر كما يصطلح للغسل الواجب رفع الحدث الأكبر . إذن الوضوء عبادة إسلامية يقصد به الإنسان رضا الله عز وجل وينال ثوابه فى الحياة الأخروية ، رغم ذلك يجد به فوائد صحية عديدة لنفس الإنسان كما يجدها لجسمه أيضا.

أما الصحة النفسية يجدها الإنسان عند سكينة القلب والخلو من الاضطرابات النفسية ، إذ لا فرح ولا سرور عند المسلم من الوقت الذي يغفر فيه ذنوب أعضائه ويفتح أمامه أبواب الجنة الثمانية ، كل ذلك يناله المسلم بالوضوء ، هذه اللحظات المباركة تخلو من جميع الاضطرابات

[1] الأمين العام : رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، فرع ولاية كيرلا .

النفسية وتغطيه بالسكينة الربانية ، فتتيحه عملية الوضوء صحة نفسية وراحة روحية وفي هذا السبيل صحة جسمية أيضا .

إن عملية الوضوء تمنح الإنسان نشاطاً قلبياً وراحةً روحيةً وتزيل ما يعرض جسده من الفتور والاسترخاء الذي يعقب خروج الفضلات ، وما يعقب النوم من الفتور كما يشعر نفسه بطمأنينة وسكينة من تخلصها مما علق بها من أدران وأوساخ وتدرك نوعاً من الإحسان الروحي والهدوء النفسي ، ولهذا كان الوضوء مخففاً لحدة توتر الأعصاب والغضب .

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الغضب من الشيطان وإن الشيطان من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ [1] .

١ . الوضوء والسجود يذهبان الغضب :

عند الوضوء يتبرد الجسم سريعا بوجود عروق دموية كثيرة في جلود أعضاء الوضوء وإن شرب المتوضأ قليلا من الوضوء فيجري تبريد الجسم بسرعة عجيبة ويحدد على الإفراز الكظري ويذيب الغضب بهذا الماء الذى ينجذب إلى الجهاز الهضمي ، ولذلك يمكن بالوضوء تحفيظ قلوب المتوضئين وحياتهم ، إن لم يدرك الجسم تبريد الوضوء وفي حالة الغضب يشيع الهورمون الكظرى إلى جميع الأعصاب وأنحاء الجسم كاشتغال لهب النار وعندما يطفأ نار الغضب بماء الوضوء يهدأ القلب من اضطراباته ويسكن الجسم كاملا بهدوء القلب [2] .

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ! إن فى الجسد مضغة ؛ إذا صلحت صلح الجسد كله ؛ وإذا فسدت فسد الجسد كله ؛ ألا ، وهي القلب ! [3] .

وإن الغاضب وإن كبح بنفسه جموح غضبه بالقعود أو الاضطجاع هو خير من أن يسيطر عليه آخر ، لقمع غضبه . وإن الغضب يكون أصعب على الإنسان من أن يصعد الى أكمة ، ولا سبيل للسيطرة على الغضب إلا الجلوس أو الاستلقاء كما يقال " الوقاية خير من العلاج " منذ زمن بعيد .

---

[1] مسند أحمد ؛ ، رقم الحديث: ١٧٣٠٢

[2] د/ عبد الشكور عبد اللطيف ؛ العلمية فى الصلاة : ٢٧ من بحوث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي .

[3] صحيح البخارى، رقم الحديث : ٥٠ .

أما السجود خير من الاضطجاع فلأن في حالة السجود يكون القلب عمودياً عندئذ لايحتاج القلب إلى بذل الطاقة لضخ الدم ويجري الدم طواعية إلى السفلى وكلما يعيد السجود يستريح القلب مرة بعد أخرى ويحترز من آفة الشيطان الذي خلق من النار .

ب . ينشط الروح والنفس :

إن الوضوء يتيح لصاحبه راحة روحية ويزيده صحة نفسية ويثمره نشاطاً قلبياً وينال به المتوضأ طمأنينة وسكينة بما كان الوضوء يبرد أعضاءه الظاهرية باستخدام الماء ، والباطنية بشعور الإيمان والتضرع إلى الله . لأن الوضوء يكفر خطاياه ويطهره ويقربه الى الله عز وجل ، وهو يحفظ قلبه من الأفكار السيئة والأحاسيس الدنيئة ، والجوارح من الأفعال الذميمة والأعمال الشنيعة ؛ بل كلما يتوضأ الإنسان مع الخشوع والخضوع وإحضارالنية يتمتع براحة نفسية قوية ، لأنه يتقرب إلى حضرة الله عزوجل ويسكن في جواره .

فعملية الوضوء ليست هي مجرد غسل ظاهر لأعضاء الإنسان بالماء لتنظيفها من الأقذار والغبار بل إن من غايتها السامية أن يطهرها طهارة معنوية ؛ فقد يكون الإنسان قد أباح عينه أن تتبع العورات ، أو تنظر إلى مشاهد سيئة ، أو ترى بنظرات كبر واحتقار لإخوانه أويكون قد سخر تفكيره في الإضرار بالناس ، وربما يكون قد استعمل يده في ضرر الآخرين ظلما ، وربما مشت رجلاه إلى ما لا يحبه الله ويسخطه ، فإن هذه الآثام كلها تكفر بعملية الوضوء ، حينما يغسل الإنسان وجهه ويديه ورجليه فى الوضوء يحس فى قلبه أنه يغسل معه الذنوب التى ارتكب بهذه الأعضاء المذكورة .

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب [1] .
- عن عبد الله الصنابحي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا

[1] صحيح مسلم ، رقم الحديث : ٣٦٠ .

توضأ العبد المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له [1] .

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم عن قريب لاحقون ؛ وددت لو أنا قد رأينا إخواننا . ! قالوا أو لسنا إخوانك يا رسو ل الله ؟ قال : أنتم أصحابي ؛ وإخواننا الذين لم يأتوا بعد . قالوا : كيف تعرف من لم يأتوا بعد من أمتك يا رسول الله؟ قال : أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ؛ ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . . قال فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ، إلا ليذاد رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال ؛ أناديهم ألا هلم . فيقال إنهم بدلوا بعدك فأقول سحقا سحقا [2] .
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات ؟ قالوا : بلى يارسول الله ! قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد و انتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط [3] .

في ضوء هذه الأحاديث المذكورة يكون وضوء المسلم حالة ممتعة جدا لأن المتوضئ المسلم يشعر عند وضوئه وهو في حالة تغفير ذنوبه حينما ينظف فمه وأنفه وهو يشعر بأن ذنوبه تخرج من فمه وأنفه وحينما يغسل وجهه يشعر أن الخطايا التي نظر إليها بعينيه يغفر مع الماء التي يغسل بها وجهه ، وحينما يغسل يديه وهو يشعر بأن الخطايا التي بطشت بها يداه تمحى مع آخر قطرة الماء التي يغسل بها يديه ، وحينما يمسح رأسه وأذنيه

[1] سنن النسائى ، رقم الحديث : ١٠٢ .
[2] صحيح مسلم ، رقم الحديث : ٣٦٧ .
[3] صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٣٦٩ .

وهو يشعر بأن ذنوبه تخرج من أذنيه ، وحينما يغسل رجليه وهو يشعر بأن الخطايا التي مشى إليها برجليه ينظف مع غسل الرجلين .

علاوة على ذلك يحس المتوضئ بأن الله تعالى يرفع درجاته ويمحو سيئاته بكل وضوء يتوضأ بها ويحس أيضا عندما يفرغ من الوضوء مع ما يدعو بدعاء مأثور بأن الله تعالى يفتح أمامه أبواب الجنة الثمانية ليدخلها .

- عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء[1] .

إن هذه الإحساسات الطيبة كم تفرح قلب المؤمن ؟ وكم تطرب نفسيته ؟ وكم يطمئن بها سويداء قلبه ؟ لا شك ولا ريب أن هذه الإحساسات الإيمانية والأفكار الربانية لاتزال تزداد بها راحة قلوب المؤمنين وهي تقوي تمتعهم الروحي وتزيل همومهم وغمومهم وتنال بها نفوسهم الصحة والعافية .

٣ . الصحة البدنية :

لا يصح الوضوء إلا بالماء النقي الذى يستخدم شفاءا لعدة أمراض في العلاج الطبيعي ، إن للماء قدرة عظيمة على امتصاص الحرارة وقوة الإذابة لأكبر عدد من المواد وإمكان وجودها في حالة السيولة والصلابة – ثلج – وفي – الحالة الغازية – بخار دون الحاجة إلى درجات حرارة شديدة الارتفاع أو الانخفاض ، وهو من الوسائل السهلة لإنتاج التأثيرات الحرارية والميكانيكية المطلوبة ، حيث لا توجد هناك مادة أخرى تساوي الخواص القيمة للماء وتشع حرارته بسهولة .

للماء عدة تأثيرات أخرى غير أشعاع الحرارة للجسم أو امتصاصها منه وذلك لأن الجلد يتصل مباشرة بالأعضاء الداخلية للجسم بواسطة جهاز معقد من الأعصاب والأوعية الدموية . إن هذا الجهاز يوصل ما بين الجلد وبين العضلات والأعصاب والأوعية الدموية الداخلية .وبناءا على ذلك فإن إنقباض الأوعية الدموية التي في الجلد يؤدي إلى انقباض ممثل إلى الأوعية الموجودة بداخل الجسم[2] .

يوجد في جميع البلدان بين عامة الناس عادة صب المياه على المغمي

---

[1] صحيح مسلم ، رقم الحديث : ٢٣٢

[2] مختار سالم ، الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع : ٢٦٣ .

عليه ليفيقه ، ومن طريق علاج المعترف منذ زمن بعيد إمرار المياه على الأجزاء المختلفة للبدن لشفاء الأمراض ، وسجل في التاريخ حوادث كثيرة تبين علاج المياه وشفاء أمراض الملوك به ، ويتمكن بعلاج المياه أن يحتفظ الجسم من الأمراض ، ويوجد في أوربا وفي البلاد الأخرى حمامات عامة بنيت للعلاج بالمياه .

بدأ الإنسان العصري الدراسات والبحوث عن العلاج بالماء منذ قرون ، قد صنف الطبيب النابلسى الدكتور نيقولا لانساني كتابا باسم " علاج المياه " في عام ١٦٧٣م يحلل فيه فوائد غسل الجسد بالماء الصافي .

وبعد ذلك جاء كتاب History of cold bathing both ancient and modern (تاريخ غسل الماء البارد في الزمان القديم والحديث) للدكتور برناد ، والسيد جون فلوير فى نفس الموضوع ، ذكرا فيه فوائد غسل الأعضاء الصحية .

وبين الموضوع بكل صراحة كتاب " قدرة الشفاء العظيم للماء البارد " الذي صنفه الدكتور: جي أس هان في عام ١٨٨٣م .

وقد طبق هذا السبيل فى بداية القرن التاسع عشر السيد وينسند برسنيتس الجكلوسلواكي ،والراهب الكاثوليكي الأب نيب الباوري ، وأن الدكتور فلوير وبرناد أنشئا حمامات في إنجلترا لتوفير الناس العلاج المائي . وفي كتاب لأدولف جست الذي تأثر به مهاتما غاندى أكثر بكثير المسى" الرجوع إلى الطبيعة " (Return to nature) أيضا يذكر عن الفوائد الطبية لغسل الأعضاء بالماء البارد .[1]

إن الماء هو من أهم عناصر مزاج الجسد ويحتوي على أكثر من ثلثي أجزائه الكلي ، كما يحتاج الجسم إلى الماء لتبريده عندما ترتفع درجة حرارة الجسم فوق ثمانية وتسعين فهارنهيت ، وذلك بتبخر المياه الداخلية بواسطة العرق ، لذا يقوم الوضوء بدور هام في تبريد الجسد من الخارج ويساعد لتخفيف عملية انخفاض درجة الحرارة .

كلما يمس الماء البارد أي جانب من الجسد يتقلص شريان الدم فيه ويزداد سيل الدماء إليه من سائر الجوانب لموازنة درجة الحرارة ؛ وعند الوضوء يكشف سيل الدم إلى الوجه واليدين والقدم وسائر الأعضاء المغسولة وخلال جريان الدم من الأعضاء الباطنية إلى الجوارح الخارجية

[1] الدكتور إي .أى.أى. شكور ، الصلاة فوائدها الصحية : ٢٦ – ٢٧ مكتب يوتا ، كاليكوت .

تمتص غدة العرق نفايات الدم منه وتزيلها إلى الخارج بواسطة حفريات الشعر الموجودة في الجلد ، وتختلط هذه الملوثات بماء الوضوء وينظف الجسد منها بعد الوضوء ، وفي العادة تجري هذا التنظيف بواسطة عمل الكلية بامتصاص النفايات من الدم وإبادتها مع البول ، وهكذا عندما يعرق جسم الإنسان تطرح هذه النفايات إلى خارج الجسد كافة ويمكث خارج الجلد حتى الغسل .

وعندما نتوضأ ترتكز النفايات الدموية في الأعضاء المغسولة بما تجحذ بها ماء الوضوء إليها ، ويتمكن من إزالتها من الجلد عبر ماء الوضوء ، لذا يساعد الوضوء على تخفيف خدمات الكلية الدائمة ويحفظها بقدر ما من الأمراض الكلوية [1] .

إن الغسل بالماء ينشط القوة المغناطيسية للجسم كما ذكر الدكتور أي دي بالبيت في كتابه ثقافة الإنسان والعلاج (human culture and cure) . ودلت الدراسة التي أجريت بعدما وضعت آلة كالونوميتر (galvanometer) ثم نظر التفيير الذي يحدث حين مس الماء في أي جهة من الجسم وكشفت هذه التجربة أن الإنسان الذي يعيش في المناطق الباردة يدرك الصحة والطاقة أكثر مما يسكن في المناطق الحارة .

يقول الأستاذ الألمعي الدكتور إى . أى . شكور الذى بحث كثيرا عن الجوانب الصحية فى العبادات الإسلامية لا مثيل له فى هذا الباب من ولاية كيرلا الهندية [2] تعليقا للنظريات العلمية السابقة عن تأثير الماء البارد لشفاء أمراض الإنسان " وعلى ضوء هذا الاختبار يمكن أن ندعي بأن الذين اعتادوا الوضوء يكسبون فوائد صحية من الذين لا يتوضؤون ، كما يساعد لتخفيف آلام الأمراض الجلدية ، ولتحصنه من الجراثيم ولتحفظه من الإخماج " [3] .

(للبحث بقية)

---

[1] والمرجع السابق : ٢٧ .

[2] كان هو أستاذ علم الحيوانات (zoology) فى كلية فاروق ، كاليكوت من ولاية كيرلا الهندية .

[3] الدكتور عبد الشكور عبد اللطيف ، العلمية فى الصلاة والصيام : ١١ ؛ بحوث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي فى القرآن والسنة .

الفقه الإسلامي

شبهات حول التمذهب الفقهي

دراسة تطبيقية على المذهب الشافعي

(الحلقة الأولى)

الدكتور عبد الإله بن حسين العرفج

ملخص البحث :

تعرضت المذاهب الفقهية الأربعة من الاتهامات التي أثارها خصومها ، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى نسبة تخلف المسلمين إلى تمذهبهم بالمذاهب الأربعة ، وأن هذا أدى إلى إهمال الكتاب والسنة ، واختفاء السنن وظهور البدع ، وخمول العقل وركود الفكر ، وضياع استقلالية الأمة الإسلامية ، وتعزيز التبعية الغربية .

وأبرز الشبهات التي أثيرت حول التمذهب الفقهي تتمثل في التالي :

١ _ إهمال الاستدلال بالكتاب والسنة .

٢ – تعطيل حركة الاجتهاد الفقهي .

٣ – التعصب المذموم للمذهب الفقهي .

٤ – نشر روح التحزب والتفرق .

٥ – ارتباطها بالكسل والفتور وضعف الهمة .

يقوم هذا البحث بمناقشة تلك الشبه ، ويجيب عنها من خلال التطبيق على المذهب الشافعي .

مقدمة البحث :

تتابع فقهاء المسلمين على منهجية التمذهب الفقهي طيلة عشرة قرون تقريباً ، ثم خرج بعض الفقهاء ونظروا في واقع المسلمين في القرون الأخيرة ، ورأوا التخلف الكبير الذي يعيشه المسلمون ، فخرجوا بعدة افتراضات حول أسباب التأخر ، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى نسبة التأخر للإسلام نفسه ، ومنهم من نسب التأخر إلى تمسك المسلمين بالمذاهب الفقهية الأربعة والتعصب لها ، وأن هذا أدى إلى إهمال الكتاب والسنة ، واختفاء السنن وظهور البدع ، وخمول العقل وركود الفكر ، وضياع الاستقلالية .

وممن قال – وللأسف الشديد – بهذه المزاعم دعاة وعلماء مشهورون ، فمنهم السيد سابق عفا الله عنه ، فقد قال – في مقدمة "فقه السنة" : "إلا أن الناس بعدهم – أي بعد الأئمة الأربعة – فترت هممهم ، وضعفت عزائمهم ، وتحركت فيهم غريزة المحاكاة والتقليد ، فاكتفى كل جماعة منهم بمذهب معين ينظر فيه ، ويعول عليه ، ويتعصب له ، يبذل كل ما أوتي من قوة في نصرته ، وينزل قول إمامه منزلة قول الشارع، ولا يستجيز لنفسه أن يفتي في مسألة بما يخالف ما استنبط إمامه، .... ،وبالتقليد والتعصب للمذاهب فقدت الأمة الهداية بالكتاب والسنة ، وحدث القول بانسداد باب الاجتهاد ، .... وبالعكوف على التقليد ، وفقد الهداية بالكتاب السنة ، والقول بانسداد باب الاجتهاد ، وقعت الأمة في شر بلاء ، ودخلت في جحر الضب الذي حذرها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، .... ، وكان من آثار ذلك أن اختلفت الملة شيعاً وأحزاباً ، ..... ، كما كان من آثار ذلك انتشار البدع ، واختفاء معالم السنن ، وخمود الحركة العقلية ، ووقف النشاط الفكري ، وضياع الاستقلال العلمي ، الأمر الذي أدى إلى ضعف شخصية الأمة ، وأفقدها الحياة المنتجة ، وقعد بها عن السير والنهوض ، ووجد الدخلاء بذلك ثغرات ينفذون منها إلى صميم الإسلام ، ..... ، وأخيرا انتهى الأمر بالتشريع الإسلامي الذي نظّم الله به حياة الناس جميعاً ، وجعله سلاحاً لمعاشهم ومعادهم ، إلى دركة لم يسبق لها مثيل ، ونزل إلى هوة سحيقة، وأصبح الاشتغال به مفسدة للعقل والقلب ، مضيعة للزمن ، لا يفيد في دين الله ، ولا ينظم حياة الناس" .

إن من يقرأ تمهيد السيد سابق لكتابه المتضمن دعواه الجريئة لاقتران التمذهب بالمذاهب الفقهية الأربعة بفقدان الأمة الإسلامية الهداية بالكتاب والسنة ،ووقوعها في شر التفرق والتحزب،وتوقف حركة النشاط الفكري،وضعف شخصية الأمة الإسلامية،ليكاد يظن أن المذاهب الفقهية الأربعة عبارة عن قوى ماسونية صهيونية صليبية استعمارية فتاكة ،مزقت جسد الأمة الإسلامية ، وألقت بها في مهاوي الضياع ومهامه التيه،وأنه – عفا الله عنه – جاء بكتابه لينقذ المسلمين من هذا الواقع.

فكان لزاماً على العلماء المتمذهبين بالمذاهب الفقهية الأربعة تفنيد

تلك الشبهات والرد عليها ، وبيان أن سبب تخلف المسلمين لم يكن ناتجاً عن تمذهبهم بالمذاهب الأربعة ، ولكنه يرجع لأسباب أخرى ، كالاستبداد السياسي ، والظلم الاجتماعي ، والتبعية الغربية ، والتحكم بالثروات ، واستفحال الشهوات ، وحب الدنيا ، وكراهية الموت ، وعدم الخوف من الله ، ولو كان السبب يكمن في المذهبية الفقهية لما امتدت حدود الخلافة العباسية والعثمانية إلى أقصى الشرق والغرب .

محتوى البحث :

معظم ادعاءات معارضي التمذهب الفقهي وخصوم المذاهب الفقهية الأربعة تتلخص في التالي :

١ _ أنها أهملت الاستدلال بالكتاب والسنة ، ولم تهتد بهما .

٢ – أنها عطّلت حركة الاجتهاد الفقهي ، فصار فقهاء كل مذهب يردّدون أقوال أئمتهم بدون إضافات جديدة .

٣ – أنها أدّت إلى التعصب المذموم ، والانتصار لقول المذهب .

٤ _ أنها نشرت روح التحزب والتفرق .

٥ – أنها تكوّنت نتيجةً للكسل والفتور وضعف الهمة .

وسنناقشها واحدةً واحدةً ، إن شاء الله .

١ – دعوى إهمال الاستدلال بالكتاب والسنة :

من الدعاوي التي زعمها خصوم المنهجية الفقهية إهمال علمائها الاستدلال بالكتاب والسنة على المسائل الفقهية ، وأكبر دليل على ذلك– حسب زعمهم – أن بعض الكتب الفقهية تكاد تخلو من الدليل .

والحقيقة أن هذه الدعوى تؤكد أن خصوم التمذهب الفقهي لا يعرفون كيف تكونت المذاهب الفقهية ، ولا يدركون منهجية التأليف فيها ، ولا يدركون أغراض الفقهاء في مؤلّفاتهم .

فقد جرت عادة الفقهاء رحمهم الله أن يسيروا على منهجية محددة في تآليفهم ، فمنهم من يؤلف قاصداً مناقشة المسائل الفقهية مناقشة مقارنة ، شاملة تقرير الأدلة وذكر الخلاف ومآخذ الأقوال ، بحيث تبني هذه المؤلفات ملكة فقهية عند طلابها ، ومن أبرز الكتب الفقهية التي تسير على هذه المنهجية كتاب " الأم " للإمام الشافعي رحمه الله .

ومن أبرزها أيضاً كتاب " نهاية المطلب " لإمام الحرمين الجويني

رحمه الله ، وقد استدل في كتابه بما يقرب من ألف وخمسمائة حديث نبوي ، فكيف يُزعم بأن المذاهب الفقهية لم تهتد بالكتاب والسنة ؟ !

ومن الفقهاء من لا يقصد الموسَّع ، بل يكون قصده اختصار الفقه في أخصر الكلمات وأوجز العبارات ، ومن أبرز الكتب الفقهية في ذلك متن أبي شجاع أحمد بن الحسين الأصفهاني رحمه الله .

ومن الفقهاء من يقرر المسائل الفقهية على مذهبه ، ويتوسع فيها ، ويخرج عليها ، ويناقش فقهاء مذهبه فيها ، ولكنه يكتفي في الأدلة بعرضها دون مناقشة مع بيان صلاحيتها للاحتجاج ، ومن أبرز من سلك هذه المنهجية الفقية ابن حجر الهيتمي رحمه الله في كتابه " فتح الجواد " .

وقد كان العلماء يدركون هذا الاختلاف في مناهج الفقهاء المؤلفين ، فلم يكونوا يعترضون على مؤلَّف خلوَّه من دليل وتعليل ، أو مناقشة ومحاروة ، إلا أن بعض المعاصرين ذهلوا عن تلك المنهجيات ، فوصموا عماءَ المذاهب بجهلهم بالكتاب والسنة ، وكتبهم بخلوها منهما.

نماذج للكتب المذهبية الشافعية التي أولت الدليل اهتماماً :

لا يخلو أي مذهب فقهي من المذاهب الأربعة من التمسك بدلالات الكتاب والسنة وفق قواعد أصولية ثبتت لديهم وصحَّت عندهم ، فمن كتب المذهب الشافعي – على سبيل المثال – :

- " معرفة السنن والآثار " للبيهقي رحمه الله (٣٨٤ هـ - ٤٥٨) في خمسة عشر مجلداً ، جمع فيها ما وصل إليه من أدلة الإمام الشافعي نفسه .
- " تحفة المحتاج في أدلة المنهاج " لابن الملقن رحمه الله (٧٢٣ – ٨٠٤ هـ) في مجلدين .
- " البدر المنير في تخريج أحاديث شرح الرافعي الكبير " لابن الملقن في مجلدين .
- " تلخيص الحبير في تخريج أحاديث شرح الرافعي الكبير " للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ) في مجلدين .
- كتب المذهب الموسعة لا يكاد تخلو صفحة منها عن إشارة لدليل ، ولو بقولهم بعد المسألة الفقهية : للاتباع رواه مسلم (مثلاً) .
- بعض كتب المذهب تهتم بذكر الخلاف في المسألة مع ذكر ومناقشة

أدلة كل مذهب ، مثل " الحاوي الكبير " للماوردي رحمه الله (٣٦٤ – ٤٥٠ هـ) ، و" البحر " للروياني رحمه الله (٤١٥ – ٥٠٢ هـ) وغيرهما .

معنى كلمة الإمام الشافعي وغيره : " إذا صح الحديث فهو مذهبي " :

لعل خير من يجيب على معنى كلمة الإمام الشافعي هو الإمام النووي ، فقد قال – في " المجموع " (١ / ٦٣) – : " هذا الذي قاله الشافعي ليس معناه أن كل أحد رأى حديثاً صحيحاً قال : هذا مذهب الشافعي ، وعمل بظاهره ، وإنما هذا فيمن له رتبة الاجتهاد في المذهب على ما تقدم من صفته أو قريب منه ، وشرطه أن يغلب على ظنه أن الشافعي رحمه الله لم يقف على هذا الحديث ، أو لم يعلم صحته ، وهذا إنما يكون بعد مطالعة كتب الشافعي كلها ونحوها من كتب أصحابه الآخذين عنه وما أشبهها ، وهذا شرط صعب ، قلّ من يتصف به ، وإنما اشترطوا ما ذكرنا ، لأن الشافعي رحمه الله ترك العمل بظاهر أحاديث كثيرة ، رآها وعلمها ، لكن قام الدليل عنده على طعن فيها أو نسخها أو تخصيصها أو تأويلها أو نحو ذلك ، ..... ، قال الشيخ أبو عمرو : فمن وجد من الشافعية حديثاً يخالف مذهبه ، نظر ، إن كملت آلات الاجتهاد فيه مطلقاً أو في ذلك الباب أو المسألة كان له الاستقلال بالعمل به ، وإن لم يكن وشق عليه مخالفة الحديث بعد أن بحث فلم يجد لمخالفته عنه جواباً شافياً ، فله العمل به إن كان عمل به إمام مستقل غير الشافعي ، ويكون هذا عذراً له في ترك مذهب إمامه هنا ، وهذا الذي قاله حسن متعين " .

ومما ذكره الإمام أبو عمرو بن الصلاح وغيره من علماء الشافعية أن – كمثال لحديث تركه الشافعي عمداً مع عمله بصحته سنداً ، لمانع اطلع عليه – قصة أبي الوليد موسى بن أبي الجارود ، قال صح حديث : " أفطر الحاجم والمحجوم " فأقول : قال الشافعي : أفطر الحاجم والمحجوم ، فردوا ذلك على أبي الوليد ، لأن الشافعي تركه مع عمله بصحته ، لكونه منسوخاً عنده ، وبيّن الشافعي نسخه ، واستدل عليه .

٢ – دعوى تعطيل العقل وحركة الاجتهاد الفقهي واستيعاب النوازل المستجدة :

ادّعى معارضو التمذهب الفقهي أن المذهبية عطّلت حركة العقل ،

وأوقفت عجلة التفكير ، وأغلقت باب الاجتهاد ، وأن علماء كل مذهب فقهي اكتفوا بالعكوف على أقوال إمامهم ، يدورون في فلكه ، ويسبحون في بحره ، ولا يخرجون عنه .

وهذا الكلام قد يسرع إلى ذهن من لم يُحط خبراً بكتب المذاهب الفقهية ، لأنه لو اطلع عليها فإنه سيدرك حجم الجهد العقلي الذي قام به علماء كل مذهب ، وسيتيقن من قدرة أولئك العلماء على الاجتهاد في معرفة أحكام النوازل الجديدة وتفريعها على أصول صحيحة ، بل وسيعثر على نصوص متينة ، صارت في هذا العصر مفتاحاً للاجتهاد المعاصر .

وقد زرت فضيلة الشيخ الدكتور علي محيي الدين القره داغي حفظه الله في منزله في قطر يوم الثلاثاء ١٣ / ٤ / ١٤٣٣ هـ ، وتذاكرت معه قضية الجمود العقلي وتعطيل حركة الاجتهاد المنسوب – جهلاً – للمذاهب الأربعة ، فأخبرني – وهو الباحث الاقتصادي – بأنهم يستفيدون من اجتهادات المذاهب في بحوثهم المعاصرة بنسبة ٨٠ ٪ ، وقد استأذنت منه في نقل هذه الكلمة عنه فأذن .

ولقد اطلعت على عشرات البحوث التي تناولت النوازل المعاصرة في مجال الاقتصاد والطب ، فكنت أرى نصوص الفقهاء بمثابة منارات ضوئية يهتدي بها الباحثون في سيرهم صوب تكييف تلك النوازل وتحديد أحكامها الشرعية .

نماذج من الاجتهاد الفقهي :

سأكتفي بالتدليل على ما أقول بنقل النصوص التالية ، مكتفياً بنص واحد فقط ، على كل مسألة :

- قال الشيخ علي الحلبي رحمه الله : " وقد يجب في اليوم والليلة أكثر من ألف صلاة ، فقد ثبت في الحديث الصحيح أن بعض أيام الدجال كسنة ، وهو أولها ، وثانيها كشهر ، وثالثها كجمعة ، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك اليوم، هل يكفينا فيه صلاة يوم وليلة ؟ فقال : " لا ، اقدروا له قدره " ، والأمر في اليوم الأول بالتقدير ، ويقاس به الأخيران ، بأن يقدر قدر أوقات الصلاة وتصلى ، وهو جار في سائر الأحكام ، كإقامة الأعياد وصوم رمضان ، فيصلى الوتر والتراويح ، ويسر في المغرب والعشاء والصبح ، ومواقيت الحج ويوم عرفة وأيام

منى، وكذا العدة ، وحينئذ يقال : لنا امرأة مات زوجها وليست بحامل، وانقضت عدتها من طلوع الشمس إلى الزوال ، ويجري ذلك فيما لو مكثت الشمس عند قوم مدة " ، وقد أفاد النص وجوب خمس صلوات في كل أربع وعشرين ساعة في الأقطار التي تمكث الشمس فيها طالعة أو تغيب عنها لمدة أشهر ، وكذلك حساب صوم شهر رمضان من حيث عدد الأيام ووقت الإمساك والإفطار وغير ذلك .

- قال الإمام النووي رحمه الله : " وأما كون السفر طويلاً فلا بد منه – أي لجواز القصر – ، والطويل ثمانية وأربعون ميلاً بالهاشمي ، ..... ، والمسافة في البحر مثل المسافة في البر ، وإن قطعها في لحظة " ، وقد أفاد النص أن من قطع مسافة القصر – براً أو بحراً – في لحظة بطائرة أو صاروخ أو باخرة أو غواصة جاز له الترخص .
- قال الشمس محمد الرملي رحمه الله : " ويجوز الاعتماد على بيت الإبرة في دخول الوقت والقبلة، لإفادتها الظن بذلك كما يفيده الاجتهاد، أفتى به الوالد رحمه الله تعالى، وهو ظاهر"، ووالده هو الشهاب أحمد الرملي رحمه الله (..... – ٩٥٧ هـ) ، فقد سئل عن حكم الاعتماد على بيت الإبرة في دخول الوقت والقبلة ، فقال : " يجوز اعتمادها فيهما، لإفادتها الظن بذلك كما يفيده الاجتهاد " ، وقد أفادت الفتوى جواز الاعتماد على البوصلة في تحديد القبلة، وهي المقصودة ببيت الإبرة، ويدخل في معناها – بل أبلغ – نظام المواقع العالمي GPS .
- قال الشيخ إبراهيم البرماوي رحمه الله : " وأما هواها – أي عرفات – كنحو سحاب أو غصن شجرة أصلها خارج عنها أو عكسه فلا يكفي – أي الوقوف عليه – ولو كان ولياً ومرَّ عليها في الهواء فإن وقف على غصن في هوائها وأصله في أرضها كفى ، لأن الاعتبار هنا بالأرض ، وبذلك فارق ما في الاعتكاف من الاكتفاء بذلك كله " وقد أفاد النص أن من مرَّ في هواء عرفة بطائرة مثلاً لا يعدُّ مروره وقوفاً شرعياً ، وقد تصور الشيخ احتمال المرور في هواء عرفة للولي الذي يطير في الهواء ، أما النص التالي فيتصور شيئاً آخر .
- قال الشيخ محمد العناني رحمه الله : " ولو كان راكباً على دابة في أرضها – أي عرفات فإنه يصح الوقوف – ، بل وقوفه راكباً أفضل ، أو

كان عائماً في الماء في أرضها أو على شجرة بعرفة – فيصح الوقوف – ، بخلاف ما إذا ركب على طير طائر في هواء عرفات ، أو ركب على السحاب ، فلا يكفي ، فليس لهوائها حكمها ، فلو طار فيه لم يجزئه ، وكذلك لو سعى طائراً أو طاف طائراً فإنه لا يعتد بهما " ، وقد أفاد النص عدم إجزاء الوقوف بعرفة في حال المرور في هوائها ، وقد تصور الشيخ حصول ذلك بما إذا ركب على طير طائر أو على السحاب ، وأفاد النص أيضاً أن أرض عرفات لو غطيت بالماء يوماً ما ، فإنه يكفي السباحة عليها ، وأفاد أيضاً نفس الأحكام في الطواف والسعى .

- قال الشيخ سليمان البجيرمي رحمه الله : " الثاني – أي من شروط صيغة البيع – أن يتلفظ بحيث يسمعه من بقربه وإن لم يسمعه صاحبه ، بأن بلّغه ذلك فورا ، أو حملته الريح إليه، فقبل "، وقد أفاد النص صحة العقود إذا حملت الريح كلام المتعاقدين، وبالتالي يفيد صحة إجراء العقود بوسائل الاتصال الحديثة التي يسمع بواسطتها المتعاقدان كلامهما ، مثل الهاتف وبرامج المحادثة الصوتية .
- قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله : " إذا كتب طلاق امرأته بلفظ صريح ، ولم ينو – أي الطلاق – لم يقع الطلاق ، لأن الكتابة تحتمل إيقاع الطلاق ، وتحتمل امتحان الخط ، فلم يقع الطلاق بمجردها ، وإن نوى بها الطلاق ففيه قولان : قال – أي الشافعي – في الإملاء – وهو من كتب المذهب القديم –: لا يقع به الطلاق ، لأنه فعل ممن يقدر على القول ، فلم يقع به الطلاق كالإشارة ، وقال في الأم – وهو من كتب المذهب الجديد – : هو طلاق ، وهو الصحيح ، لأنها حروف يفهم منها الطلاق ، فجاز أن يقع بها الطلاق كالنطق " ، وقد أفاد النص أن كتابة الطلاق كناية ، فإن نواه الزوج وقع ، وإن لم ينوه فلا يقع، وقد أفاد النص أن كتابة الطلاق باستخدام الوسائل الحديثة – كالبريد الإلكتروني وشبكات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك والتويتر – كناية ، ولمسألة كتابة لفظ الطلاق قصة طريفة : ففي عام ١٤٢٠ هـ تقريباً كنت في أمريكا للدراسات العليا ، وكانت الإنترنت قد دخلت الدول العربية حديثاً ، فأثارت إحدى المجلات قضية وقوع الطلاق بالبريد الإلكتروني ، بمعنى أن يقوم الزوج بإرسال بريد ألكتروني لزوجته ،

يطلقها فيه ، فوجّه المركز الإسلامي في مدينتنا (أثنز / أو هايو) للمسلمين في المدينة أن يفيدوا حول هذا الموضوع ، وكان هذا – فيما أذكر – يوم ثلاثاء ، وكان مقرراً أن أخطب يوم الجمعة ، فخصصت الخطبة للحديث حول هذا الموضوع ، وذكرت فيه أن العلماء فصلوا في الموضوع منذ ألف سنة ، فتعجب المصلون ، فذكرت لهم بعض النص في أن كتابة الطلاق كناية ، ثم عرَّجت للحديث عن استشراف الفقهاء للمستقبل من خلال بعض النصوص التي صارت مرجعاً للاجتهاد المعاصر وما هذه النصوص التي تراها في هذا الموضع من الكتاب إلا بعضها .

- قال الشيخ علي الشبراملسي رحمه الله : " لو ألقت امرأة مضغةً أو علقةً ، فاستدخلتها امرأة أخرى حرة أو أمة ، فحلّتها الحياة ، واستمرت حتى وضعتها المرأة ولداً ، لا يكون ابناً للثانية ، ولا تصير مستولدة للواطئ لو كانت أمة ، لأن الولد لم ينعقد من مني الواطئ ومنيها ، بل من مني الواطئ والموطوءة ، فهو ولد لهما ، وينبغي أن لا تصير الأولى مستولدة به أيضاً ، حيث لم يخرج منها مصوَّراً " ، وقد أفاد النص أنه إذا تم تلقيح بويضة الزوجة بمني زوجها ، ثم تم غرسها في رحم امرأة أجنبية ، فإن أمه هي صاحبة البويضة ، وليست صاحبة الرحم ، ولهذا النص قصة طريفة ، فقد كان من ضمن دروسنا الفقهية الشافعية في الأحساء درس يبحث في القضايا الفقهية المعاصرة ، وكنا نطلع على البحوث المعاصرة المتعلقة بنازلة اقتصادية أو طبية ، ثم نناقش ما اطلعنا عليه ، ونحاول تخريجه على قواعد الشافعية ، وذات مرة وقع الاختيار على مسألة طفل الأنابيب ، وقرأنا فيها بحوثاً ، واطلعنا على قرارات بعض المجامع الفقهية ، وكان ملخصها يدور حول الصور الجائزة والصور المحرمة ، وكان من ضمن الصور المحرمة ما لو تم تلقيح بويضة الزوجة بمني زوجها ، ثم تم غرسها في رحم امرأة أجنبية ، إما خطأ أو باتفاق ، وهو ما يسمى بتأجير الرحم ، فإذا ولدت المرأة الأجنبية مولوداً ، فمن تكون أمه ، فوقع اختلاف بيننا ، ورجعنا إلى الكتب الصفراء المباركة ، فعثرنا على هذا النص الذي يفيد أن الأم هي صاحبة البويضة ، وليست صاحبة الرحم .

(للبحث صلة)

دراسات وأبحاث أدبية وتاريخية

مكة المكرمة

بقلم : العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

تقع مكة المكرمة في وادي إبراهيم عليه السلام ، ويقدر مدى ارتفاعها عن سطح البحر حوالي ثلاث مأة قدم ، وتكون درجة عرضها ٢١ شمالاً ، وطولها ½ ٣٩ شرقاً ، وتبعد نحو ٧٥ كيلو متراً عن شاطئ البحر الأحمر في الشرق ، ومن أسمائها مكة وبكة وأم القرى والبلد الأمين ، وهذا الوادي حجري وضيِّق ، وتبلغ مساحة مكة المكرمة من الشرق إلى الغرب إلى أميال (حوالي ٦٥٠ هكتاراً) ، وبلغ عرض مكة إلى ميلين ، ويُسمى هذا الوادي بالأبطح والبطحاء أيضاً [١] ، وقد ارتفعت هضبتان على جانبي الوادي ، وكلتاهما امتدتا من الغرب إلى الشرق ، إحداهما شمالية وأخراهما جنوبية ، وهما تعرفان بالأخشبين ، تشتمل الهضبة الشمالية على جبل الفلق ،وجبل قعيقعان ، وجبل لعلع ، و ثنية كداء ، وتقع كداء في شرق مكة ، وهو منطقة مرتفعة فيها ، دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة من هذه الجهة ، وعلى الجهة الغربية الجنوبية يقع جبل عمر رضي الله عنه ، ثم واد ، ثم جبل أبي قبيس ، ثم جبل الخندمة ، وقد عمرت سفوح هذه الجبال ومرتفعات بعض منها الآن بالمباني ، وقد أحاطت المدينة من جوانبها الأربعة تِلال الأحجار أو الهضبات ، التي تكون بمثابة أسوار ، والحرم المكي في وسط المدينة .

وفي مكة عين للماء ، تعرف بزمزم ، ولم تكن هناك بئر للماء غيرها ، ولم تكن هناك إمكانيات الزراعة بقلة المياه ، وقد حفر نهر أو نهران لإيصال الماء إلى مكة ، فتوافرت منه تسهيلات الماء ، وقد غرست فيها بعض الأعشاب والنباتات أيضاً ، وقد حفر نهر في العهد العباسي

[١] الأبطح : المكان المتسع يمر به السيل ، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار ، ومنه أبطح مكة .

قرب الطائف ، فوصل الماء إلى مكة ، وهو معروف بنهر زبيدة ، حفر هذا النهر بأمر من السيدة زبيدة والدة الخليفة العباسي الأمين ، ثم جرى فيه إصلاح وترميم ، وقد اختيرت الآن وسائل أخرى لإيصال الماء إلى مكة ، فلم يكن هناك قلة الماء الآن ، وإن مكة كانت في واد ، فتمتلئ في الزمن الماضي بالسيول الجارفة فيه ، ويدخل في الحرم المكي كثير من الماء ، وقد أقامت الحكومة الآن سداً قبل المعلاة ، وحفرت هنا مسيلاً أرضياً كبيراً داخل الحرم وأمامه ، يخرج به من جهة المسفلة قاذورات المدينة وسيولها .

وبما أن مكة المكرمة محاطة بالجبال بصفة خاصة ، فتكثر فيها الحرارة ويقل الشتاء ، ويشتد فصل الصيف في مكة ، كما أن المطر ينزل في الشتاء ، ولا تكون نسبته السنوية أكثر من أربعة أو خمسة أصابع ، فيبتدئ فصل الصيف في مارس ، وينتهي في نهاية أكتوبر ، وتكون نسبة الشتاء خفيفة بإحاطتها بالجبال ، وتكون الريح الغربية أحسن وأطيب ، فتهب من البحر ، ثم الريح الشمالية التي تهب أيضاً من جهة البحر ، وتكون الريح الشرقية أحرّ ، وهي تمر بالجبال الجافة ، فتكون أشد حرارة ، وتكون الريح الجنوبية أقل حرارة منها ، وسميت جبالها في التوراة بجبال فاران ، وقد نسبت إلى الملك فاران بن عمرو بن عمليق .

قبل أربعة آلاف سنة منذ اليوم أسكن سيدنا إبراهيم عليه السلام زوجته السيدة هاجر وابنه الرضيع سيدنا إسماعيل فيها ، فرفع قواعد البيت ، فظلت هذه المدينة مركزاً للمدن المجاورة ، بل للعالم كله ، وأقامت ذريات سيدنا إسماعيل عليه السلام فيها ، وبعضها انتشرت في المناطق القريبة منها ، وأخيراً سكن قريش هنا ، فصاروا مسئولين عنها ، ثم ولد فيها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في قريش ، وقضى ثلاثة وخمسين عاماً من عمره ، فظلت مكة مركز قدسية واحترام في جزيرة العرب بسبب الكعبة المشرفة ، وكان العرب يطوفون الكعبة ويزورونها قبل ألفين وخمس مأة عام من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم .

كان عمران مكة من قبل في الخيم ، ولما انتقل إلى مكة أحد أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قرنين من الهجرة ، من الشام ، بدأت عمارة المباني بمشورته ، ونظم مجتمع مكة ومسئولياتها الاجتماعية

والدينية ، وتقلد بها قصي بن كلاب ، فنالت قريش عظمةً وفخاراً بين الناس ، واختصت بهم هذه المسئوليات ، ومنذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم تطورت مكة تطوراً كثيراً ، فصارت الآن أكبر وأهم عواصم العالم الإسلامي .

إن الجزء الشمالي الشرقي لمكة مرتفع ، ويُعرف بالمعلاة ، توجد فيها مقبرة شهيرة وتاريخية ، وهي تتصل بالحجون وكداء ، يُسنُّ الدخول في مكة من المعلاة ، ولا يزال يدفن فيها من العهد الأول إلى يومنا هذا أهل مكة ، وفي مقابل المعلاة من الجزء الغربي الجنوبي لمكة حي المسفلة ، يسيل منه السيل الجارف من المعلاة ، والجزء الشرقي لمكة يشتمل على جبل الخندمة ، الذي يسكن في سفحه بنو هاشم ، وهو في شمال جبل أبي قُبيس ، وفي الجزء الغربي لمكة جبل عمر ، وفي الجزء الغربي الشمالي موضع كدي ، يسنُّ منه الخروج من مكة المكرمة .

وإن المناطق التي تقع في شمال الحرم تُسمّى بالشامية ، وفي مقابلها حي جياد (وفي لغة أجياد) الشهير في جنوب الحرم الشريف ، وهو أعلى أحياء مكة المكرمة ، وفي جانبه جبل مكة الشهير جبل أبي قبيس ، وفي وسط مكة موقع المسجد الحرام .

المسجد الحرام :

وهو مبنى شامخ ، في وسطه الكعبة المقدسة ، بين الكعبة المقدسة ومبناها ساحة واسعة ، يؤدي فيها المصلون الصلاة متوجهين إلى الكعبة ، وهناك جدار في صورة هلالية على مسافة ذراع ونصف في شمال جدار الكعبة المقدسة ، يعرف داخله بالحطيم ، ويسمى ذراعان بين الحطيم والكعبة المقدسة بحجر إسماعيل ، وهما جزء من الكعبة ، خارج من المبنى الموجود ، وحول الحطيم والكعبة المقدسة فناء مثقف واسع ، يُعرف بالمطاف ، الذي يُطاف فيه للكعبة ، وفي جزء من المطاف على جهة باب الكعبة بئر زمزم ، وقرب جهة باب الكعبة مقام إبراهيم ، وعلى الجانب الشرقي قرب باب الكعبة ألصق الحجر الأسود في ركنه ، وإن الجدار الذي يمتد من صفح البيت إلى ركن الحجر الأسود يُسمّى بالملتزم ، وعلى جوانب فناء المسجد من كل جهة صالونات كبيرة ،

حوالي أربعة أو ثلاثة ، وإن مساحة الحرم المكي الحالية من كل جانب حوالي : تُمن ميل (Furlong) ٦٦٠ قدماً.

الكعبة المقدسة :

الكعبة المقدسة في وسط المسجد الحرام ، شكلها مثل حجرة واسعة ، ومبناها مرتفع وقريب من التربيع ، وارتفاعها ١٥/ متراً ، وفي جهتها الشرقية قرب الركن الشرقي بابها المذهّب ، وهو مرتفع عن الأرض بأحد عشر شبراً ونصف شبر ، للكعبة أربعة أركان :

١. الركن العراقي في الشمال
٢. الركن الشامي في الغرب
٣. الركن اليماني في الجنوب
٤. ركن الحجر الأسود في الشرق ، وركن الحجر الأسود هو الركن الذي التصق به الحجر الأسود .

زمزم :

وعلى جهة شمال شرقي الكعبة المقدسة عين للماء داخل المسجد الحرام ، وهي زمزم ، فجرها الله تعالى بفضله وكرمه ، نظراً إلى ظمأ إسماعيل عليه السلام ، وهي باقية حتى الآن ، بل لا تزال تتطور ، يوجد قليل من الملاحة في ماء زمزم ، نتيجة للآثار المعدنية ، وماؤها مبارك ، ومفيد للمعدة ، وصحي للبدن ، يشرب ماءه أهل مكة ، ويُحمل إلى مناطق مختلفة في العالم .

المسعى :

المسعى مكان للسعي ، والسعي ركن مهم للحج ، والمسعى طريق بين جبلين : الصفا والمروة ، في شرق بيت الله ، والصفا في رأس جنوب الشرق ، وهي في سفح جبل أبي قبيس ، والمروة في رأس شمال الشرق ، لم يبق الآن الصفا والمروة ، وقد امحت آثارهما بالشق والقطع ، إلا أن موضعهما ما زال باقياً ، وقد صنعت فيه عدة معارج وسلالم ، ومسافتهما حوالي ثمن ميل ونصف ، وقد ترددت السيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل عليه السلام إليهما مراراً في البحث عن الماء ، ففجر الله تعالى عين زمزم المبارك ، وقد وضع العرب صنمين عليهما قبل الإسلام ، فصنم الصفا إساف ، وصنم المروة نائلة ، ينذر العرب لهما النذور ، ويقربون القرابين ،

ويسعون بينهما في الحج أيضا ، وقد أزيل هذان الصنمان بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن المسلمين تحرجوا في السعي بينهما ، ولما أمر المسلمون بالسعي بينهما بقوله تعالى : إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا . (البقرة : ١٥٨) استمر سعيهم ، ولم يشعروا بأي حرج فيه .

دار الندوة :

انضمت الآن دار الندوة إلى داخل المسجد الحرام ، وموقعها داخل باب الزيادة ، وكانت دار الندوة مجلس الشورى قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، يجلس فيها صناديد قريش ويتشاورون فيما بينهم ، ويصدرون أوامر قاطعة ، وهذا الموضع على جهة المحلة الشامية ، أنشأ هذا المجلس جد قريش قصي بن كلاب .

جبل قعيقعان :

وهو جبل مكة المشرف على المسجد الحرام من الشمال الغربي ، يُسمّى هو وجبل أبي قبيس بالأخشبين ، ويُعرف جزء من جبل قعيقعان بـ " جبل هندي " أيضاً .

جبل أبي قبيس :

يقع هذا الجبل على الجهة الشرقية من الحرم المكي ، صعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم و وجه كلمةً إلى قريش .

الحجون :

جبل يتصل بالمعلاة ، فسمِّي الحي الذي يقع أمامه بالحجون ، وكان عُمران مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هنا .

كداء :

شعب يتصل بالحجون ، يأتي من خارج مكة إلى داخله ، يُعرف بكداء ، ويستحب الدخول منه في مكة للحج والعمرة ، دخل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح .

كُدي :

شعب في غرب جبل قعيقعان، على طريق يذهب إلى التنعيم، وفي شماله ذو طوى، ومحلته الشبيكة، يستحب الخروج منه للعائدين من الحج والعمرة، وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من هذا الطريق.

الصفا :

على جهة شرقي الحرم الشريف وبيت الله رأس جبل أبي قبيس الذي يقع بين الحرم والبيت ، وهو حد من حدود المسعى ، وقد تحوَّل هذا الجبل إلى صخور فقط .

المروة :

بقي رأس الجهة الغربية من جبل قعيقعان، الذي يقع في شمال شرقي الحرم، وهو حد من حدود السعي، وقد بقيت منه الآن عدة صخور.

ذو طوى :

بئر في شمال جبل قعيقعان وكدي ، كان هذا الموضع خارج مكة وقت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقع الآن عند جرول والزاهر من أحياء مكة الخارجية . وقد بات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةً قبل الدخول في مكة في حجة الوداع ، وتذهب شوارع كداء على جهة الشمال إلى مكة المكرمة .

جبل عمر (جبل النوبي) :

هذا جبل في جنوب غربي الحرم ، يُعرف بجبل النوبي أيضاً ، كان منزل سيدنا عمر رضي الله عنه في جنبه .

الغزة :

هذا الحي على شمال شرقي الحرم أمام جبل أبي قبيس بجهته الثانية ، يتصل بجبل الخندمة ، وفي جنبه حي سوق الليل .

سوق الليل وشعب عامر :

هذا الحي قرب جبل الخندمة ، متصل بالغزة ، كانت فيه منازل آل هاشم وعبد المطلب ، ويقع في شماله شعب عامر.

شعب أبي طالب :

شعب في شعب عامر ، حُوصر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات ، ويُسمَّى شعب علي .

المولد النبوي :

منزل في سوق الليل ، قرب الغزة ، أقيمت فيه مكتبة مكة المكرمة ، وفي شرقه جبل .

مولد علي بن أبي طالب :

هذا الموضع على ارتفاع قليل من الجبل قرب المولد النبوي .

دار خديجة ومولد فاطمة :

كانت دار خديجة على الجهة الشرقية من المروة بين سوق الليل والمروة ، تُسمى زقاقها بزقاق الحجر ، والصاغة والعطارين ، أقام فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ عقد القران مع السيدة خديجة (رضي الله عنها) إلى هجرة المدينة المنورة ، وولدت فيها بنته السيدة فاطمة وأخواتها رضي الله تعالى عنهن .

دار أبي بكر :

كان منزل سيدنا أبي بكر الصديق في حي زقاق الحجر ، زقاق العطارين ، الذي كان فيه بيت خديجة رضي الله عنها ، وكان لأبي بكر منزل آخر ، يقع في زقاق البخاري من المسفلة .

مولد حمزة :

جبل على جنوب غربي الحرم قرب جبل عمر ، وبني الآن هنا مسجد حمزة .

مولد عمر :

في سفح جبل عمر رضي الله عنه ، يسمَّى هذا الجبل بجبل النوبي أيضاً .

دار العباس بن عبد المطلب :

كانت في شرق الحرم الذي يوجد فيه الآن العلم الأخضر للمسعى .

بنو مخزوم :

هذه الأسرة في منطقة باب الصفا ، ويسمى باب الصفا بالنسبة إليها باب بني مخزوم ، وكان خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ، رضي الله عنهما من بني مخزوم .

دار الأرقم :

كانت دار الأرقم منزل عبد الله بن الأرقم المخزومي ، متصلةً بالحرم المكي في سفح الصفا ، كان يجتمع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وسمِّي من بعد بدار الخيزران أيضاً .

بنو جمح :

سكن بنو جمح قرب باب الزيادة (الباب الشمالي للحرم) وسمي هذا الباب باسمهم بباب بني جمح .

بنو سهم :

سكن بنو سهم عند باب العمرة غرب الحرم الشريف ، وينتمي إليهم سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه .

بنو شيبة :

سكن بنو شيبة عند باب السلام شرقي الحرم المكي ، وقد سُمّي باب السلام بباب بني شيبة ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرم المكي في الحج من باب بني شيبة (باب السلام) ، وخرج من باب مخزوم (باب الصفا) ، وكان بنو شيبة حاملي مفتاح الكعبة المقدسة .

بنو أمية :

سكن بنو أمية قرب باب العطارين من الحرم ، متصلاً بالمروة ، وكانت دار أبي سفيان فيه ، كما كان حي زقاق العطارين قريباً منها .

جبل ثور :

جبل ثور هو الجبل الشهير الذي بات في غاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال متواليات ، يقع على بعد من ثلاثة أميال في شرق جنوبي مكة ، ينشق شارع من المسفلة إلى هذا الجبل ، وهذا الجبل من أشمخ جبال هذه المنطقة ، وقيل : إن ارتفاعه ميل كامل ، وجبل ثور على ذروة منه .

جبل النور وحراء :

إن جبل النور الذي يوجد فيه غار حراء ، يتحنث فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل نبوته ، إن جبل النور على مسافة ميل ونصف في شمال مكة في طريق الطائف ، ويلوح جبل النور واضحاً في جبال مكة ، ويُرى جبل ثور من بُعد .

إن سكان مكة تتنوع أجيالهم ، العرب القدماء هنا قليلو الوجود ، إلا أن هناك أسرة زكية في مكة ، وحاملة مفتاح الكعبة المقدسة ، تسمى بالأسرة الشيبية .

منى :

يقع منى على مسافة ٤ – ٥ / كم / من مكة المكرمة ، وبه الجمرات الثلاث ، التي يرميها الحجاج أثناء إقامتهم في منى ، لما أمر الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل أراد الشيطان أن يغويه في ثلاثة مواضع ، فتُرمى الجمرات الثلاث تذكاراً له ، وهذا العمل دليل على رمي الشيطان ، وهذه الجمرات الثلاث في هذه المواضع .

منى موضع غير مسكونٍ فيه ، يكتظ بالحجاج في ثلاث أو أربع ليال ، يصل إليه الحجاج صباحاً في الثامن من شهر ذي الحجة ، فتبتدئ منه شعائر الحج ، وتنتهي فيه في الثاني عشر والثالث عشر أيضاً ، أهم مواضع منى مسجد الخيف ، وهو مسجد مربع ذو مظلة مفتوحة ، صنعت في وسطه قبة ، هذا هو الموضع الذي صلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذبح الحجاج أضاحيهم في منى ، وسُمّي منى ، لأنه يمنى فيها الدماء ، وقد قدم فيه سيدنا إبراهيم عليه السلام تضحية ابنه الحبيب امتثالاً لأمر الله تعالى ، ثم خلّد الله تعالى ذكره ، يحف بمنى جبلان من الجنوب والشمال ، يعرفان بالأخشبين .

عرفات :

وهو واد واسع كبير أو ساحة على مسافة ٢١ / كيلاً من مكة المكرمة ، ليس فيه عمران ولا مبنى ، تحف به الجبال من ثلاثة جوانب ، وفي وسطه على جهة الشمال جبل الرحمة ، قيل : إن آدم وحواء قد التقيا هنا ، فسُمّي هذا اللقاء بمعرفة ، وصار هذا الموضع عرفات ، وردت في وجه تسمية عرفات أقوال كثيرة أيضاً ، يجتمع هنا الحجاج خاصة في التاسع من شهر ذي الحجة ، وقد اشترط وقوف عرفات لصحة الحج ، وهنا مسجد ، يسمى مسجد نمرة ، ورد في الحديث أداء صلاتي الظهر والعصر هنا جمعاً ، فتؤدى صلاة العصر مع صلاة الظهر بالجماعة جمع تقديم ، ويخطب الإمام ، ويؤم الناس جمعاً لصلاتي الظهر والعصر ، ومسجد نمرة في غربي ساحة عرفات ، ويليه وادي عرنة ، وهو خارج من حدود عرفات .

المزدلفة :

موضع بين منى وعرفات ، يُسمّى بالمشعر الحرام أيضاً ، قال الله

تعالى : فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ . وهنا مسجد ، ويؤدي الحجاج في المشعر الحرام صلاتي المغرب والعشاء جمعاً .

بطن محسر :

شعب بين المزدلفة ومنى ، يُسمى بطن محسِّر ، وقد أمر الحجاج بأن يمروا به مسرعين ، قيل : قد نزل العذاب على أصحاب الفيل في هذا الموضع .

جبل ثبير :

أمام منى والمزدلفة ، يسمّى ثبيراً ، ذكره امرؤ القيس في معلقته : وهو جبل مشهور

كأن ثبيراً في عرانين وبله
كبير أناس في بجاد مزمل

التنعيم :

موضع في شمال الحرم المكي على مسافة ٦ / كيلو مترات ، تمر به حدود الحرم في جانب ، ويقطعه شارع المدينة المنورة من مكة المكرمة أيضاً ، ويُحرم الحاج أو المعتمر الذي يدخل منه في حدود الحرم ، وهو أقل مسافة إلى حدود الحرم .

سَرِف :

واد على مسافة ١٢ / كيلاً ، ورد ذكره في كتب السيرة والتاريخ كثيراً ، هنا قبر أم المؤمنين السيدة ميمونة ، وهو موضع في الطريق الذي يتجه إلى المدينة المنورة ، ورد ذكره في الكتب باسم " بطن نعمان " .

الحديبية جبل الشميسي :

موضع في طريق جدة على الجانب الغربي ، بمسافة ٢١ – ٢٢ كيلاً من مكة ، يقع شمال غربي مكة ، هنا جبل الشُميسي ، وهو يُعرف بالشميسة أيضاً ، تبتدئ من هنا حدود الحرم أيضاً ، يُحرم فيه المحرومون ، هذا هو الموضع الذي عاهد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً عام ٨ من الهجرة ، ورجع بغير أداء الحج ، وتعرف هذه المعاهدة بصلح الحديبية . كانت هناك شجرة ، بايع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان ، حينما سمع أن قاصده إلى قريش

سيدنا عثمان بن عفان قد استشهد في مكة المكرمة ، قد قطع هذه الشجرة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لئلا يجعلها الناس موضع عبادة وسجود ، وقد ألقى هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمه أيضاً في عين ، إزالةً لشكوى قلة الماء .

مرّ الظهران :

منطقة ذات نخل ، تغطي عدة كيلو مترات من المرّ إلى الجموم على مسافة ٢٢ / كيلاً ، في شمال مكة ، فيها سكان يزرعون ، ويستغلون أرضها الخضراء ، وترسل منها إلى مكة المكرمة خضراوات طازجة وأشياء نباتية ، ويأتيها أهل مكة للتنزه والترفيه ، ويسمى الآن بوادي فاطمة [1] ، ويمر به الشارع بين مكة والمدينة ، ويُسمّى موجزاً بالمرّ ، وهو أكبر واد ، يتلاحق فيه واديان اثنان (النخلة الشامية والنخلة اليمانية) ، وهما ينحدران من شمال الشرق .

قرن المنازل :

جبل صغير أو تلّ ، يقع على شارع نجد في الجهة الشرقية ، على مسافة ٤٥ / كيلاً من مكة المكرمة ، وهو ميقات أهالي نجد ، ويُعرف الآن باسم السيل .

يلملم :

جبل صغير من تهامة في الجنوب ، يبعد عن مكة المكرمة بمأة كم ، يقع هذا الجبل على طريق مكة من اليمن ، وهو ميقات أهالي اليمن ، والحجاج الذين يأتون من جهة اليمن ، وتجاور هذا الجبل قرية باسم : السعدية .

ذات عرق :

يقع هذا الموضع على الشارع الذي يذهب إلى العراق على جهة شمال الشرق ، على مسافة ١٢٠ / كيلاً ، وهو ميقات أهالي العراق ، ويعرف الآن باسم الضريبة .

●●●

[1] لم يُنسب هذا الوادي إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، بل نسب إلى امرأة سرية في العهد التركي قبل قرن ونصف قرن .

إطلاق كلمة " المفيد " في مصطلح الحديث

(الحلقة الثانية)

بقلم : الأستاذ أبو أنس رفيع الله المَرْوَتِي (كراتشي)

صفات المفيد :

لا بد من التنبيه هنا أن المفيد أعلى من المحدث رتبةً – كما سبق – فالصفات التي ذكرها علماء الحديث للمحدث ، لابد من وجودها في المفيد بحذافيرها ، أما عن صفات المحدث فقد اختلف فيها الأئمة ، وتَفَرَّقت فيها أقوالهم وتشتَّت ، إلا أنني أكتفي في هذا المبحث بذكر قول الحافظ مغلطاي والسخاوي .

قال الحافظ مغلطاي في كتابه ((إصلاح كتاب ابن صلاح ص/٧٣)) : " اسم المحدث في عرف المحدثين أن يكون كتب وقرأ ، وسمع ووعى ، ورحل إلى المدائن والقرى وحصل أصولاً ، وعلق فروعاً من كتب المسانيد ، والعلل ، والتواريخ التي تقرب من ألف تصنيف ، فإذا كان ذلك فلا ينكر له ذلك " [1].

وقال الحافظ السخاوي : " أما المحدث : فهو العارف بشيوخ بلده ، والضابط لمواليدهم ووفياتهم ومراتبهم في العلوم ، وما لهم من المرويات على اختلاف أنواعها ، والمميز لعالي ذلك من نازله ، والمقتدر على تلخيص ما يقف عليه من الطباق والأسانيد محرّراً ، واستخراج الخطوط ولو تنوعت ، والانتقاء على الشيوخ والتخريج لهم ، ولنفسه مع التنبيه على البدل والموافقة ، المصافحة والمساواة ، ونحو ذلك ، وضبط السامعين ولو كانوا ألفاً ، والممارس لأسماء الرجال ، لاسيما المشتبه ، وأخذ ضبطها عن أئمة الفن ، والضابط لغريب ألفاظ الحديث ، أو جلّها خشية التصحيف ، والعارف بطرق من العربية يأمن معه من اللحن غالبًا ، والماهر باصطلاح أهله ، بحيث يصلح لتدريسه وإفادته ، ويراعي

[1] قال الشيخ على القارئ : كأنه تعريف المنتهي . شرح شرح نخبة الفكر : ص/١٢٣.

اصطلاحهم في ذلك ونحوه "[1] .

وذكر المحدث الغماري : " أن المفيد : من جمع شروط المحدث ، وتأهّل لأن يفيد الطلبة الذين يحضرون مجلس إملاء الحافظ ، فيبلّغهم ما لم يسمعوه ، ويفهّمهم مالم يفهموه ، وذلك بأن يعرف العالي ، والنازل ، والبدل ، والمصافحة ، والموافقة ، مع مشاركة في معرفة العلل "[2] .

وإضافة إلى ذلك أن تكون عنده ملكة ، يصل بها المحدث إلى ما يستحق أن يلقّب بهذا اللقب الشريف ، وإن لم يبلغ إلى درجة الحافظ ؛ فإنه درجته النهائية هي الدرجة الأولى للحافظ ، كما أن درجة المحدث النهائية هي الأولى للمفيد ، ولا تساوي بين من وُصِف بالمفيد من المتقدمين، وبين من سُمِّي به من المتأخرين ، لأنه لا يلزم من كونه ملقّباً بالمفيد التساوي بينه بين من وصف به من المتقدمين .

طرق الإفادة :

سنتناول في هذا المبحث أصناف الإفادة وأنواعها التي ارتَشَفَتْها من أحوال هؤلاء الأئمة المتعمِّقين في الحديث والمتضلّعين منه ، والمنعوتين بـ " المفيد " بعد أن اطلعت على تراجمهم إلى القرن السادس من الهجرة ، وإن كان هذا الأمر من الصعوبة بمكان ، ولكن الله تعالى مُيَسِّر ومُعِين ، وهي كما يأتي :

١- أن يُفِيدَ الطلبة الحاضرين مجلس إملاء الحافظ الذين يكونون في طرف المجلس وحرفه بإسماع ما لم يسمعوه ، وبإفهام ما لم يفهموه ، كالمستملي والمبلّغ ، وبالمثال سَيَتَّضح المقال :

ا- قال الذهبي في عبيد الله بن أبي الحسن ابن الحداد المفيد : " كان يكرم الغرباء و يفيدهم ، ويقرأ لهم . . . "[3] .

ب- قال علي بن المحسن : نبأنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن علي بن الشَّبْيَة العلوي بإفادة أبى عبد الله بن بكير، قال : نبأنا أبو القاسم عبد العزيز

١- الجواهر : ٦٩/١ .

٢ - مبادئ علم الحديث : ص ٦٤ .

٣- سير أعلام النبلاء ٤٨٧/١٩ .

بن إسحاق بن جعفر بن البقال الزيدي ، ثم ذكر بسنده حديثا [1] .

ج- وسمع أبو الحسن هبة الله بن الحسن الأَبَرْقُوهي [2] بإفادة عبد العزيز بن محمد النَخْشَبي [3] الحافظ من أبي طاهر محمد أحمد بن عبد الرحيم [4] .

د- قال السمعاني المتوفى (٥٦٣هـ) : سمعت من أبي إبراهيم نصرالله بن أبي غالب البَنْمَارِي [5] بإفادة مذكور بن اللكاف الفارسي ، ومن أبي الخير مسرة بن عبد الله الزَّعِيْمِي [6] بإفادة أبي بكر بن كامل ، وكتبت عن أبي بكر محمد بن محمد الصَّلَوَاتِي [7] البلخي أوراقا من الحديث ، بإفادة أبي علي بن الوزير الحافظ الدمشقي ، وكنا خرجنا للقراءة عليه بقرية مُلْجَكان [8] .

هـ- وسمع مسعود بن علي بن أحمد أبي نصر المتوفى (٤٧٤هـ) بإفادة جده وأقاربه ، وكتب أبو الفوارس طراد بن محمد الزَّيْنَبي [9] عن أبي

---

[1]- تاريخ بغداد : ٣٩/٣ .

[2]- بفتح الالف والباء المنقوطة بواحدة وسكون الراء وضم القاف وفي آخرها الهاء ، هذه النسبة إلى أبرقوه وهي بليدة بنواحي أصبهان على عشرين فرسخا منها .

[3]- بفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين وفي آخرها الباء الموحدة . هذه النسبة إلى نخشب ، وهي بلدة من بلاد ما وراء النهر . الأنساب ٤٧٢/٥ .

[4]- الأنساب ٧٢/١ .

[5]- بفتح الباء وكسر التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وتشديد الميم المفتوحة وفي آخرها الراء ، هذه النسبة إلى بتمار وهي قرية من قرى النهروان ببغداد . الأنساب٢٨٠/١ .

[6]- بفتح الزاي وكسر العين المهملة وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها الميم ، هذه النسبة إلى زعيم الدولة ابن المعوج . الأنساب١٥٦/٣ .

[7]- بفتح الصاد المهملة ، واللام ، والواو ، وفي آخرها التاء المنقوطة من فوقها باثنتين .هذه النسبة إلى " الصلوات " ولعل بعض أجداده كان يكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويرفع صوته بها فنسب إليها . الأنساب٥٥٢/٣ .

[8]- م س : ٥٥٢/٣ . ملجكان : بضم الميم ، وسكون اللام ، وضم الميم ، وفتح الكاف ، وفي آخرها النون ، وهي قرية من قرى مرو قديمة معروفة ، على فرسخين منها . الأنساب٣٨٠/٥ .

[9]- الزينبي : بفتح الزاي وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وبعدها النون وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة ، هذه النسبة إلى زينب بنت سليمان بن علي والمنتسب إليها بيت قديم ببغداد . الأنساب١٩١/٣ .

الحسن علي بن محمد بن علي البُرْدَاني [1] البقال حديثين بإفادة المبارك بن سعد بن عين البقرة [2] .

أداء الحديث إذا سمعه من المبلّغ :

اختلف المحدثون في من يكون في آخر الصفوف ، ولا يسمع صوت الشيخ نفسه ، وإنما كان يسمع صوت المُبَلِّغ : هل يجوز له أن يروي عن الشيخ ذاته ، أو لا يحوز إلا أن يروي عن المُبَلِّغ عن الشيخ ؟ قال ابن صلاح: " قد كان كثير من أكابر المحدثين يعظم الجمع في مجالسهم جدا حتى ربما بلغ ألوفا مؤلفة ، ويبلّغهم عنهم المستملون ، فيكتبون عنهم بواسطة تبليغ المستملين ، فأجاز غير واحد لهم رواية ذلك عن المُمْلِي . وأبى آخرون ذلك ، قال خلف بن تميم : سمعت من سفيان الثوري عشرة آلاف حديث أو نحوها فكنت أستفهم جليسي ، فقلتُ لزائدة ، فقال لي : " لا تُحَدِّث منها إلا بما يحفظ بقلبك ، وسمع أذنك " . قال : " فألقيتها " . وعن أبي نعيم : أنه كان يرى فيما سقط عنه من الحرف الواحد والاسم ، مما سمعه من سفيان والأعمش ، واستفهمه من أصحابه : أن يرويه عن أصحابه لا يرى غير ذلك واسعاً له . قلت (القائل ابن صلاح) : الأول تساهل بعيد " [3] .

هذا إن كان الشيخ صحيح السَّمْع ، بحيث يسمع لفظ المستملي الذي يملي عليه ، فالسماع صحيح ويجوز له أن يرويه عن المملي دون ذكر الواسطة ، وإن كان في سَمْع الشيخ ثِقَلٌ ، بحيث لا يسمع لفظ المستملي ؛ فإنه لا يسوغ لمن لم يسمع لفظ الشيخ ، أن يرويه عنه إلا بواسطة المستملي ، أو المبلغ له عن الشيخ ، أو المفهم للسامع ما لم يبلغه [4] . وهذا الذي كان عليه العمل بين أكابر المحدثين ، الذين كان يعظم الجمع في مجالسهم جدا ، لكن الأحوط بيان الواقع ، كما فعله البخاري ، وابن

---

[1]- البرداني : بفتح الباء الموحدة والراء والدال المهملة وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى بردان وهي قرية من قرى بغداد . الأنساب ٣١٢/١

[2]- م س : ٣١٣/١ .

[3]- مقدمة ابن صلاح ص/٢٦٢ .

[4]- التقييد و الإيضاح ص/١٤٩ .

خزيمة ، وغيرهما من الأئمة ممن كان يقول : ثَبَّتَني فيه بعض أصحابنا ، أو وأفهمني فلان بعضه [1] .

٢- أن يفيد الغرباء بإخبارهم شيوخ ذلك البلد من ذوى الإسناد العالي وما إليهم ، ويدلهم عليهم .

قال الإمام الحافظ أبو عامر عبد الملك بن عمرو العقدي المتوفى (٢٠٤هـ): " نحن نسأل عن الواقدي، ما كان يفيدنا الشيوخ والحديث إلا الواقدي" . وقال مصعب الزبيري :" حدثني من سمع عبد الله بن المبارك، يقول: كنت أقدم المدينة فما يُفيْدُني، ويدلّني على الشيوخ إلا الواقدي" [2] .

وقال الحافظ عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي المتوفى سنة (١٠٨٩هـ) عن أحمد ابن كيكلدي العلائي : " سمع بإفادة أبيه من الكبار كالحجار ، وغيره من المسندين ، والمِزِّي وغيره من الحفاظ بدمشق ، ورحل به إلى القاهرة ، فأسمعه من أبي الحيان ، ومن عدة من أصحاب النجيب " [3] .

٣- وهي : أن يفيد الطالبَ على الفراد الأحاديثَ ؛ وذلك لأن في بعض الأحيان الشيخ يغدو ، يعجبه أحد من تلاميذه لتفوُّقِه على من سواه ، وبما يرأى فيه من صفات المحدثين ، وما إلى ذلك من وجوه ، فيقرِّبه إلى نفسه ، فيضع ثقته فيه ، ويحدِّثه بما لم يحدِّث به من عداه ، فيقول ذاك الطالب عند روايته الحديث أفادني بذلك فلان .

وقلت على الفراد ؛ لأن في حلقة الدرس الأستاذ يلقي درساً عاماً ، ويدَرِّس ما يحتاج إليه الجميع ، وما يمكن أحداً أن يسأل الشيخ ما يعنيه هو فقط ، ولا يحظى بهذه الاستفادة إلا من يتمتع بصحبة شيخه الخاصة ، ونال عنده مكانة مرموقة ومنزلة سامية ، حتى يَتَسَنَّى له الفرصة لأن يسأله عن الأحاديث التي لم يمكنه أن يسأله عنها أثناء الدرس ، وكل من قيل عنه : (أفادني ، أو يفيدني) بصيغة الماضي ، أو المضارع محمول على هذا .

١- فتح المغيث : ٢/٥٠ .
٢- سير أعلام النبلاء ٩/٤٥٨ .
٣- شذرات الذهب : ٩/٢٩ .

والتعريف الذي ذكره السمعاني وابن الأثير (للمفيد) ينطبق على هذا النوع أكثر مما ينطبق على النوع الأول من أنواع الإفادة .

والفرق بين هذا ، والنوع الأول أن في هذه الصورة يكون (المفيد) محدِّثاً يروي الحديث ، أما في الصِنف الأول فيكون المفيد مجرد مبلِّغ صوت الحافظ .

قال شعبة بن الحجاج : " أفادني ابن ليلى الأحاديث ، فإذا هي مقلوبة " . وقال : " أفادني عثمان البرّي عن قتادة حديثا ، فسألته فما عرفه ، فجعل عثمان يقول : بل أنت الذي حدثتني ، فيقول : لا . فقال قتادة : هذا يخبرني على أن عليه لي ثلاث مائة درهم " . وقال أيضاً : " كان حماد بن سلمة يفيدني عن محمد بن زياد – القرشي صاحب أبي هريرة – رضي الله عنه – فقلت ليحيى : " كان حماد يفيده ؟ " قال : " نعم " [1] . وقال أيضاً : عن أبي عبد الله الثوري ، الكوفي ، المجتهد (ت١٦١هـ): " هو أحفظ مني، ما أفادني شيئاً عن رجل إلا وجدته كما أفادني " [2] .

قال أبو نُعَيْم الإصبهاني بعد أن ذكر حديثًا بسنده عن علي – رضي الله عنه – مرسلا : في اتباع الهوى وطول الأمل ، ما نصُّه : " أفادني هذا الحديث الدار قطني ، عن شيخي لم أكتبه إلا من هذا الوجه " [3] .

أو يفيده في جَمْعٍ إلا أنه قصد بكلامه رجلا معيَّناً ، كما ذكر ابن عدي قصة جعفر الفريابي عند ما أراد السفر إلى إمام سُوَيد الأنباري (٢٤٠هـ) وقال : " أفادني أبوبكر الأعين بحضرة أبي زرعة ، وجمع

---

[1]- سير أعلام النبلاء ٦/٣٦ .

[2]- الكامل ١/ ١٧٠ .

[3]- حلية الأولياء ١/٧٦ . والحديث الذي ذكره أبو نعيم الإصبهاني بسنده عن علي رضي الله عنه مرسلا ، فهو ما يلي : " إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل . فأما اتباع الهوى ، فيصد عن الحق . وأما طول الأمل ، فينسي الآخرة ، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولكل واحد منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ؛ فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل " .

كبير من رؤساء أصحاب الحديث ، حين أردت الخروج إلى سويد ، وقال لي : " وقِفْه وثبتْ منه هذا الحديث ، هل سمع عيسى بن يونس " [1] .

٤- أن يكون كاتباً ورّاقاً يكتب للشيوخ وللغرباء ، وينسخ لهم ما سمعوه من شيوخ ذلك البلد .

قال ابن ابي حاتم (ت٣٢٧هـ) : " كتبت عن محمد بن إبراهيم القَحْطَبي [2] البغدادي مع أبي ، كتب لنا أبراهيم بن أورمة بخطّه ما سمعنا منه " [3] . وذكر الذهبي في أبي عبد الله بن محمد جعفر المعروف بأبي شيخ (٣٦٩هـ) قول أبي نعيم ما نصّه : " كان يفيد عن الشيوخ ، ويصنف لهم ستين سنة " . وقال أيضاً في عبيد الله بن أبي الحسن ابن الحداد المفيد : " كان يكرم الغرباء ويفيدهم ، ويقرأ لهم ، ويهبهم الأجزاء ، وينسخ لهم " [4] .

٥- أنه قد جمع كتباً وأصولا ، وأن يكون ذا مكتبة ذاخرة بالكتب ، ويكون لديه إلمام بليغ حول الكتب والمكتبات في بلده ، حتى إذا جاءه مستعير كتاب أعاره ، أو دلّه عليه من عنده ذاك الكتاب ، كما ذكر الذهبي في ابن الخاضبة المفيد : " كان لا يأتيه مستعير كتاب إلا أعطاه ، أو دلّه عليه من هو عنده " [5] . وكما ذكر في أبي الحسن ابن الحداد المفيد أنه كان يكرم الغرباء ، ويفيدهم ، ويقرأ لهم ، ويهبهم الأجزاء ، وينسخ لهم .

(للبحث صلة)

١- الكامل : ٢٤٩/٣ . وبقية القصة ما يلي : قال : " فقدمت على سعيد ، فسألته ، فقال : ثنا عيسى بن يونس ، عن حريز بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه ، عن عوف بن مالك ، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، قال : " تفترق هذه الأمة بضعا وسبعين فرقة ، شرها فرقة قوم يقيسون الراي ، يستحلون به الحرام ، ويحرمون به الحلال .

٢- القحطبي : بفتح القاف وسكون الحاء وفتح الطاء المهملتين وفي آخرها الباء الموحدة . هذه النسبة إلى قحطبة ، في بغداد ، ويسمى " طي " أيضا . الأنساب ٤٥٦/٤.

٣- ا لجرح والتعديل ١٨٧/٧ .

٤- سير أعلام النبلاء ٤٨٧/١٩ .

٥- تا ريخ الإسلام ٣١١/٣٣ .

مجمع " دار المصنفين " وإسهاماته
في خدمة اللغة العربية في الهند

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : د . محمود حافظ عبد الرب مرزا*

١. **" أبو العلاء وما إليه " للأستاذ عبد العزيز الميمني :**

اهتم المجمع بطباعة هذا المؤلف ، حيث كتب على غلافه بيت شعر لأبي العلاء المعري يقول فيه :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائلُ

على صعيد آخر ، قام الشيخ السيد سليمان الندوي ، بتقديم هذا الكتاب موضحاً فيه أهميته قائلاً :

" إن مجمع دار المصنفين قام بطباعة مؤلف أبو العلاء المعري ، الذي كان بمثابة عمر الخيام في اللغة الفارسية ، من مطبعة السلفية بمصر ، وهو من تصانيف الأديب الهندي الأريب الأستاذ الفاضل/ الشيخ عبد العزيز الميمني ، أستاذ اللغة العربية بجامعة علي غراه الإسلامية . علماً بأن هذا الكتاب يشمل في طياته معلومات ومواد أكثر وأغزر مما كتب عن هذا الشاعر في البلدان العربية إلى الآن ، فضلاً أن كافة المعلومات المطروحة فيها هي أكثر صحة واستيعاباً من غيرها "[١] .

ومن خلال هذا الاقتباس ، يتضح لنا أن أبناء الهند كانوا يلمون بخدمات الشاعر عمر الخيام جيداً ، ولكن من المؤسف أنهم لم يكن لديهم علم أو دراية بكتاب العرب وأدبائهم .

٢. **" ديوان الفيض " ، للعلامة فيض الحسن السهارنفوري :**

لقد طبع المعلم عبد الحميد الفراهي ، ديوان الفيض من مطبعة

---

* أستاذ مساعد ، قسم العربية والفارسية وآدابهما ، جامعة الله آباد (الهند) .

١ شذرات سليماني ، الجزء الثاني ، ص ١٦٧ – ١٦٨ ، دار المصنفين ، أعظم غراه ، ١٩٩٧م .

أختر حيدرآباد ، عام ١٩١٥م ، وقام بضمه ضمن مطبوعات مجمع دار المصنفين . ويتبين أهمية هذا الديوان من النقطة الكامنة بأن هذا الديوان هو لأديب هندي باللغة العربية ، من الصعب أن تنجب أرض الهند من يماثله : (هيهات أن يأتي الزمان بمثله . . . إن الزمان بمثله لبخيل) يقول في إحدى أبياته :

بليت ولم يكد يبلى شبابي فنيت ولم يزل عني حبابي
أحب نواعماً وأحيد عما يراد فلا أحيد عن التصابي
ألا عبهن ثم أبيت ليلي على لهو بجارية كعاب

٣. **دروس الأدب :**

هذا المؤلف من مؤلفات الشيخ السيد سليمان الندوي ، والذي يشتمل على جزئين . وتم تأليفها لأجل طلاب اللغة العربية وخاصة المبتدئين . ويشار إلى أن هذا المؤلف يشمل سلسلة مطبوعات دار المصنفين ويتم طباعته من حين لآخر .

هذه هي نبذة سريعة للمطبوعات التي اهتم بطباعتها مجمع دار المصنفين بشكل مباشر ، أو تم طباعتها برغبة المجمع . وفي الواقع، فإنه يجب طبع المزيد من الكتب العربية حتى تصبح في متناول أيدي الجميع ويستفيد منها كل من له رغبة في مطالعتها ودراستها . لأننا نطمح إلى أن نعرف أهل العرب بواقع خدماتنا الدينية والأدبية وغيرها من الأعمال، حتى يتعرف أهل العرب على هذا المجمع ويتسنى لهم أيضاً معرفة أهداف ومقاصد هذا المجمع وخدماته الواسعة النطاق والاستفادة من خدماتها أيضاً.

وبما أن هذا المجمع يهدف أيضاً إلى تقديم مختلف العلوم والفنون بمختلف اللغات ، فإنه يتم تأليف الكتب باللغة العربية أيضاً . علماً بأن المجمع اهتم بهذا الجانب في بداية الأمر ، وقام بترجمة بعض الكتب إلى اللغة العربية ومن أهمها :

٤. **الرسالة المحمدية :**

إن هذا المؤلف هو عبارة عن ترجمة لمؤلف ألفه الشيخ/ السيد سليمان الندوي ، باسم " خطبات مدارس " ، ونظراً لأهمية هذا الكتاب ، فإنه تمت ترجمته إلى اللغة العربية ، حتى يطلع العالم العربي على طريقة الدعوة والأسلوب والنهج القويم الذي اتبعه رحمه الله في نشر

الإسلام . وبدون شك ، فإن هذا الكتاب نال شهرة فائقة لدى الأوساط العلمية والأدبية والإسلامية والعربية أيضاً . علماً بأن أحد تلامذة الشيخ ، وهو الشيخ/ محمد ناظم الندوي ، هو الذي قام بترجمة هذا المؤلف . وصدرت الطبعة الأولى من مصر ، في حين طبعت الطبعة الثانية من مجمع دار المصنفين .

٥. **السيرة النبوية :**

ألف الشيخ شبلي النعماني الجزئين الأولين من كتاب " سيرة النبي " صلى الله عليه وسلم ، في حين ألف تلميذه النجيب ، الشيخ السيد سليمان الندوي خمسة أجزاء أخرى له . ولا ريب فإن هذا المؤلف نال شهرة واسعة وذاع صيته في مختلف أرجاء العالم ، ونظراً لأهميته القصوى ، تمت ترجمته إلى مختلف اللغات . ولكن فيما يخص اللغة العربية ، فإنه وفي بداية الأمر ، قام الشيخ/ محمد إسماعيل المدراسي الندوي قام في جمهورية مصر بترجمة الجزء الأول منه ، والذي لا يزال محفوظاً إلى الآن . كما تمت ترجمة مقدمة المؤلف أيضاً ، والذي ترجمه هو السيد/ محمد علي الغوري ، باسم " فن السيرة النبوية ، تاريخ وأصول " والذي طبع من مركز الماجد للثقافة والتراث ، الإمارات العربية المتحدة [١] . وفي الواقع ، فإننا لا زلنا نسمع إلى الآن أن ترجمة أجزاء منه تمت ولكن لم يظهر إلى حيز الوجود أي شيء من هذا القبيل إلى الآن ، على حسب علمي .

٦. **حياة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :**

يعتبر هذا المؤلف الذي ألفه السيد سليمان الندوي ، أحد أهم مطبوعات المجمع باللغة الأردوية ، حيث تمت ترجمة هذا المؤلف إلى العربية ، إلا أن المجمع لم يتول زمام طبعه إلى الآن [٢] .

٧. **الاسلام والمستشرقون :**

في الواقع ، فإن هذا المؤلف هو عبارة عن مجموعة لعدد من المقالات العربية التي تم طرحها في ندوة دولية أقيمت في رحاب المجمع ،

---

[١] مجلة " تحقيقات اسلامي " بالأردوية ، يوليو – سبتمبر ، عام ٢٠١٤م ، ص ٣٧٤ .

[٢] وقد عربه فضيلة الأخ الفاضل الدكتور محمد رحمة الله الندوي منذ أمد بعيد ، وطبع من دار القلم بدمشق ، وعليه مقدمة بقلم هذا العاجز (سعيد الأعظمي) ، ونال الكتاب قبولاً واسعاً بين الدول العربية ، وتتابعت طبعاته .

وتم في بداية الأمر نشره على صفحات مجلة " البعث الإسلامي " الصادرة من دار العلوم ندوة العلماء بمدينة لكناؤ ، عام ١٩٨٢م ، وبعدها قام المجمع بطباعة نسخة له فيما بعد ، ومع ذلك ، تم إصدار طبعة حديثة له باسم " الإسلام والمستشرقون " من مدينة جدة [١] .

الكتب العربية المترجمة :

وبما أن من أهداف المجمع هو ترجمة المؤلفات القيمة من مختلف اللغات إلى اللغة الأردية أيضاً ، فإن هذا المجمع قام بطباعة الكتب التالية المنقولة عن اللغة العربية ، حتى يستفيد منها أبناء البلاد ، ويطلعوا على خدماته العلمية ويتعرفوا عليها حق المعرفة :

٨. **الهند كما يراها العرب " هندوستان عربون كي نظر مين " :**

قام الشيخ ضياء الدين الإصلاحي بإعداد هذا المؤلف ، حيث جمع فيه كل ما نقله السيّاح وعلماء الجغرافيا العرب عن الهند في مجلدين ، طبع المجلد الأول منه في مارس ١٩٦٠م ، والمجلد الثاني في عام ١٩٦٢م .

٩. **تاريخ الفقه الإسلامي " تاريخ فقه إسلامي " :**

إن هذا المؤلف هو عبارة عن ترجمة لكتاب " تاريخ التشريع الإسلامي " الذي ألفه الدكتور/ محمد الخضرمي ، وقام بإعداده الشيخ عبد السلام الندوي ، وطبع للمرة الأولى عام ١٩٢٧م ، ولا تزال تتم طباعته من حين لآخر .

١٠. **ابن خلدون :**

إن هذا المؤلف هو عبارة عن ترجمة لكتاب " ابن خلدون " الذي ألفه الدكتور/ طه حسين باللغة الفرنسية ، حيث نال به شهادة الدكتوراة ، ونقله إلى العربية السيد/ محمد عبد الله عنان ، وبالتالي قام الشيخ عبد السلام الندوي ، بترجمته إلى اللغة الأردوية وتمت طباعته في عام ١٩٤٠م للمرة الأولى .

١١. **انقلاب الأمم :**

قام الشيخ عبد السلام الندوي رحمه الله بترجمة كتاب بالفرنسية للأديب والمفكر الفرنسي المشهور ، كستاولي بان ، والذي

---

[١] دار المصنفين كي عربي خدمات (بالأردوية) ، ص ١٧٩ .

كان قد ترجم إلى العربية ، من اللغة الأردوية ، وتم طبعه عام ١٩١٨م باسم " انقلاب الأمم " .

١٢. **الإسلام والحضارة العربية " اسلام اور عربي تمدن " :**

إن هذا الكتاب عبارة عن ترجمة لمؤلف ألفه السيد/ محمد كرد ،من سوريا باسم " الإسلام والحضارة العربية"، قام بإعداده الشيخ/ معين الدين أحمد الندوي،وطبعه مجمع دار المصنفين عام ١٩٥٢م .

١٣. **تاريخ الحرمين الشريفين :**

ترجم الشيخ عبد السلام الندوي،كتاب،" الرحلة الحجازية (لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر) " للمؤلف المصري، محمد لبيب البتنوني ، إلى الأردوية ، وسماه " تاريخ الحرمين الشريفين " عام ١٩٢٥م [١]. وقدم لها العلامة الشيخ السيد سليمان الندوي (رحمه الله) وبالرغم من أن هذا الكتاب لم تتم طباعته ونشره من مطبعة المعارف التابعة للمجمع إلا أنه يمكن إدراجها ضمن إسهامات المجمع لأن الشيخ عبد السلام الندوي، ظل مرتبطاً بهذا المجمع طوال حياته [٢].

وبما أننا ذكرنا هنا كتاباً لم يتم نشره من قبل المجمع ولكننا أدرجناه ضمن إسهامات المجمع ، نود أن نلفت انتباه القارئ إلى أن الشيخ محمد يوسف كوكن ، الذي ارتبط بهذا المجمع لفترة قصيرة وذلك منذ عام ١٩٣٤م – ١٩٤٠م ، والذي ألف كتباً عديدة باللغة العربية فيما بعد ، مثل " القراءة العربية " و " دولة المغول في الهند " و " أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث " وغيرها ، والذي تم نشرها وطباعتها من جهات مختلفة ، لا أرى إمكانية إدراجها ضمن إسهامات المجمع ، بالرغم من أن الشيخ السيد سليمان الندوي هو الذي غرس فيه بذور تأليف الكتب العربية وتولى مسئولية تعليمه إبان التحاقه بالمجمع ، وبالتالي كان لهذا المجمع دور كبير في جعله كاتباً ومعلماً ومصنفاً بارزاً ذاع صيته بسبب خدماته ذات الاستمرارية [٣] .

وخلاصة القول أن مجمع دار المصنفين لا يزال منذ قرن يتولى

---

[١] دار المصنفین کے سو سال ، کلیم صفات إصلاحي ، ص ١١٢ .

[٢] مجلة " تحقيقات إسلامي " ، يوليو – سبتمبر ، ٢٠١٤م ، ص ٣٧٤ .

[٣] يادكار يوسف كوكن ، (بالأردوية) ، حافظه يوسف كوكن ، ص ١٨ .

شؤون إعداد وطباعة العديد من الكتب القيمة في المواضيع الإسلامية والتاريخ والسيرة والأدب والنقد وغيرها من الموضوعات ، وبإمكاننا أن نقول بكل ثقة : إنه نال شهرة فائقة على المستوى العالمي . وبالرغم من أن جل أنشطته تتحلى بالصبغة الأردوية إلا أن إسهاماته في خدمة اللغة العربية لدليل على أنه نال نفس المرتبة والمكانة التي نالها في الأردوية . مع أننا نقر أيضاً بأنه لا يزال هناك حاجة ملحة لمزيد من العمل في هذا المجال، حتى تتسع شهرته وتبلغ إلى الدول الإسلامية والعربية على حد سواء، ولأجل السير في هذا الاتجاه، فإنه يجب علينا المواظبة على العمل والمثابرة على ذلك.

وعلى سبيل المثال ، نرى أن مؤلف : "لغات جديدة" ، الذي ألفه العلامة الشيخ السيد سليمان الندوي رحمه الله ، نال شهرة فائقة جداً ، ويعتبر مفيداً للطلبة ، لأنه يجمع بين دفتيه الكلمات الرائجة والمستخدمة في الصحف والمجلات والكتب العربية الحديثة بكثرة آنذاك ، كما أن الشيخ مسعود عالم الندوي ، قام بإضافة بعض الكلمات فيه ليصبح أكثر ارتباطاً بالحاضر ، حيث أشاد به الشيخ عام ١٩٣٧م ، قائلاً : "إنه ليسعدني قيام أخي العزيز الشيخ مسعود عالم الندوي ، مدير مجلة "الضياء" السابق ، وأحد تلامذة دارالعلوم ندوة العلماء بإنجاز هذا العمل لشغفه العلمي ، حيث إن له دراية تامة باللغة العربية الكلاسيكية فضلاً عن إجادته للغة العربية الحديثة ، لذا فإنه كان الأجدر والأنسب لإتمام هذا العمل ، وهو بذلك يستحق الشكر مني ومن جميع قراء هذا الكتاب ، حيث أصبح هذا الكتاب بمسعاه الجديد حديثاً ، وقاموساً للكلمات الجديدة"[1] . ولكن من المؤسف أنه لم يتم طبع هذا المؤلف بعد الإضافات عليه حتى الآن ، وكم نتمنى أن يعاد النظر في هذا العمل المعجمي أيضاً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

١ لغات جديده ، مطبعة المعارف ، الصفحة الأخيرة .

الرواية العربية تحت ظل الحضارة الغربية

(الحلقة الأولى)

الدكتور شهنواز أحمد*

هي نوع من أنواع الفن القصصي ، ويعتبرها بعض الأدباء النوع الأحدث بين أنواع القصة ، والأكثر تطوراً وتغييرا في الشكل والمضمون بحكم حداثته ، وتكون الرواية أوسع من القصة وأكثر أحداثا ووقائع . وتتناول مشكلات الحياة ومواقف الإنسان المعاصر منها ، في ظل التطور الحضاري السريع الذي شهده المجتمع . ولها من حيث شكلها الأدبي أربع سمات أساسية : الأولى شكل أدبي سردي يحكيه راو . والثانية أطول من القصة تغطي فترة زمنية أطول . والثالثة تكتب في لغة نثرية . والرابعة عمل قوامه الخيال .

اختلف النقاد والباحثون في هذا الفن ، مع أنهم لم يتفقوا حول علاقة الغرب بنشأته في أدبنا العربي الحديث ، فمن ذاهب إلى تأصيله ومن ثم رأى بان الرواية جنين نما من جذوره التراثية العريقة ، وهو استمرار التقاليد الأدبية المتوازنة عن الفن القصصي في التراث العربي ، ورأى آخر بأن الرواية العربية الحديثة غربية الشكل عربية المحتوى ، وفي ذلك إشارة واضحة إلى بقاء البنية الاجتماعية القديمة مع التقليد لشكل المجتمع الأوروبي .

إن الرواية العربية من الفنون النثرية الحديثة والمعاصرة التي وفدت إلينا من إنتاج تأثير الحضارة الغربية التي لم يشاهدها الأدب العربي في عصورها القديمة بهذا الإسم الذي تعرف اليوم ، فهو فن مستحدث في الثقافة العربية التي ظلت حتى أواسط القرن التاسع عشر ثقافة تقليدية ، تضم في سلسلتها الأجناس الأدبية والثقافة التقليدية ، كالشعر ، والمقامة ، والرسائل ، والخطب ، والبلاغة ، وقد تجلت هذه الألوان التراثية في شكل الرواية ومضمونها ، وكان للمقامات تأثيرٌ واضح في

* أستاذ ضيف فى قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة خواجه معين الدين جشتي الأردية والعربية والفارسية بلكناؤ ، الهند .

الروايات المترجمة ، والمؤلفة من الناحيتين : الشكلية ، والأسلوبية ، فخضعت لغة الرواية للسجع ، وكثرة المترادفات ، والمفردات الصعبة ، وكان لألف ليلة وليلة تأثير واضح في المضمون ، فسرعان ما أدرك المثقفون والمفكرون بتأثير الثقافة الغربية . فلأجل ذلك تركوا المنهج القديم لكتابة الرواية وتمسكوا بالمنهج الغربي للرواية ، كما ذكر أنيس المقدسي :

" إن هذا النوع من الفن القصصي لم يعرفه كتابنا القدماء ، وإنما دخل أدبنا في جملة ما دخله بتأثير الحضارة الجديدة . فظهرت أول أمرها في ترجمات شتى من الأدب الأوروبي . وظلت الترجمة مصدرها الأكبر حتى إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية " . [1]

الرواية لغة :

كلمة مشتقة من كلمة الري ومدلولها الحسي كان نقل الماء من موضع إلى آخر لري الأرض أو إشباع الظمأ ، ثم أصبح يدل على نقل الخبر أو الحديث من شخص إلى شخص ، ولذلك ارتبط بعلم الحديث النبوي الشريف – حيث يروي راو رواية عن النبي عليه الصلاة والسلام ويخبر بها الآخرين – وبالتاريخ والأدب كما جاء في لسان العرب :

" روى: روي من الماء بالكسر، ومن اللبن يروي ريا ويقال للناقة الغزيرة. والراوية: هو البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء، والرجل المستقي أيضا راوية. الروايا من الإبل: الحوامل للماء، واحدتها راوية " [2]

وهكذا في القاموس المحيط :

" روي من الماء واللبن كرضي ، ريا وريا وروي وتروي وارتوى ، بمعنى ، وروى الحديث ، يروى رواية وترواه ، بمعنى ، فهو راوية للمبالغة " . [3]

ثم توسع الأدباء في مدلولها فأصبحوا يطلقون الرواية مرادفة للقصة ودالة على القصة الطويلة .

---

[1] . الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة : أنيس المقدسي ، ص٥١٥ .
[2] . لسان العرب : ابن منظور ، ج١٤ ، ص٣٤٥ .
[3] . القاموس المحيط : محمد بن اليعقوب الفيروزآبادي ، ص١٢٩٠ ، بيروت – لبنان الطبعة الثامنة ٢٠٠٥م .

اصطلاحا :

فهي حكاية أو قصة خيالية نثرية طويلة تستمد وقائعها أو الواقع ، أو الخيال والواقع معاً ، ولا تكتفي بجانب من الحياة لكي تنتهي في جلسة واحدة كقصة قصيرة بل وإنها تشمل صورا للحياة بكاملها وتستغرق جلسات طوالاً دون أي تحديد ، كما وجدت في دائرة المعارف البريطانية :

Novel, an invented prose narrative of considerable length and a certain complexity that deals imaginatively with human experience usually through a connected sequence of events involving a group of persons in a specific setting .[1]

فيرى ميشال زيرافا (M . Zéraffa) أن الرواية تبدو " في المستوى الأول عبارة عن جنس سردي نثري ، بينما يبدو هذا السرد في المستوى الثاني ، حكاية خيالية " .[2]

فالرواية العربية ثمرة من ثمرات اتصال المثقفين العرب بحضارة الغرب ، وهي أكثر الفنون الأدبية طرحاً ونقاشاً لقضية الغرب في عمق الثقافة العربية الحديثة ، وقد اتخذ حضور الغرب في الرواية العربية أشكالا من الصراع والنفور والإعجاب والولع بالغرب الذي أصبح يسكننا ويحضر فينا .

ازدهر هذا الفن في أدبنا العربي بسبب ازدهار الوسائل الجديدة كالطباعة والصحافة والترجمة والتعليم . أجمع الكثير من النقاد على أن الرواية هي نتاج تواصل تاريخي متمازج من حركة الترجمة والمحاكاة والخلق والإبداع . وتعتبر الرواية فناً حديثاً أكثر توسيعاً وتغيراً بين أنواع القصة الأخرى في الشكل والمضمون بسبب حداثته . تطورت الرواية العربية خلال القرن العشرين تطورا ملحوظا ولاقت اهتمام القراء والنقاد على اختلاف نظرياتهم وفكرتهم واتجاهاتهم ، كما تنوعت أساليب كتابتها واختلف أشكالها وتعددت أنواعها وتياراتها وصيغ تقديمها .

---

[1] The New Encyclopedia Britannica, Volume 8, page 761 .
[2] Le roman, in literature at genres Littéraires : Michel Zéraffa, P 78 .

وأكد بعض النقاد أن هذا النوع الأدبي لم يكن له وجود في الأدب العربي قبل اتصال العرب بالحضارة الغربية في القرن التاسع عشر ، كما ذكر J . A . Haywood في كتابه :

"The novel began in the second half of the nineteenth century with translation from European language chiefly French and English, especially in Egypt and the Lebanon, with Egypt predominating ." [1]

ومن الحقيقة الثابتة أن الرواية وإن لم تكن موجودة في العصور القديمة ولكن لم تكن عارية في الأدب العربي بل اعترف كثير من النقاد أن الرواية كانت موسومة بإسم "القصة" ، فإن القصة العربية قديمة قدم الإنسان وأن الآداب القديمة لكل أمة من الأمم لاتخلو من هذا اللون من القصة .

عناصرها :

فهي عبارة عن الفكرة ، والحادثة ، والشخصية ، والبيئة (الزمان والمكان) ، والحوار ، واللغة ، والأسلوب ، والحبكة .

أ. **الفكرة :** يراد بها الموضوع الأساسي الذي تبتني عليه الرواية ، وفيه يمكن سر عظمة تلك الرواية وبقائها . الرواية وليدة تجريبية ، تلف مجموعة من الأحداث مرتبة ترتيباً متسلسلاً ينتهي إلى نتيجة طبيعية ، وهذه الأحداث المرتبة ترتيباً تدور في موضوع عام هو التجربة الإنسانية ، وهذه التجربة الإنسانية هي موضوع الرواية ، فهذه الفكرة التي يجردها الروائ من ظواهر الحياة بأحاسيسه وتأملاته يعود ليخلقها خلقاً فنياً ، يجسدها من أشخاص يجردهم من محيط الحياة ويدخلهم إلى صلب عمله الفني ، فيضعهم في علاقات متنوعة يواجهون الوجود من خلال مواقف متباينة ، فيلقي الضوء على سلوكهم ، كاشفاً بذلك عن الأسباب التي أدت إلى النتائج ، محركاً معه عواطف قارئه وذهنه وخياله .

ب. **الحادثة :** يفترض في كل رواية أن تقع أحداثها في نظام معين . والحادثة الواحدة تتكون من مجموعة من الوقائع الجزئية ،

[1] - Modern Arabic Literature 1800-1970 : J . A . Haywood, P .131

مرتبطة منظمة على نحو خاص ، وهي من أهم عناصرها ، فهي التي توقظ التأثر والانفعال لدى القارئ والسامع وتزرع في مشاعرهم حب المتابعة لكي يفهموا نهاية الرواية ، مع إلقاء الضوء على حالات الشخصيات ومشاعرهم . فالحدث هو جملة من المواقف والانكسارات والانتصارات المتعاقبة التي تتكون منها القصة ، أو هو تلك السلسلة من الوقائع المسرودة سرداً فنياً والتي يضمها إطار خارجي . لأن أركان الحدث ثلاثة : و هي الفعل والفاعل والمعنى ، فلا يمكن تجزئتها هنا .

ج. **الشخصية :** إنسان ، يقدمه القاص ويرسم ملامحه الخارجية والداخلية (الجسمية والنفسية والاجتماعية) من عناصر يستخدمها من أشخاص واقعيين ، كما أن الشخصيات تعكس جانباً من قيم العصر ومعتقداته وطوره الحضاري . لذا لابد للقاص أن يتعرف على أبعاد الشخصيات التي يريد عرضها ، وتقدير المهمات التي تقوم بها في مختلف الظروف وفقا لطبيعتها ومستوى وعيها .

والشخصية هي من أهم العناصر التي تقوم بها القصة والمحور التي تجري حوله الأحداث . وفي الواقع أن حيوية القصة مرتبطة بوجود الشخصيات ، لأن وجود القصة تابع من شخصيات القصة . هي الكائن الإنساني الذي يتحرك في سياق الأحداث ، مستعيناً بالتجارب التي عاناها هو أو أحد أقاربه أو أفراد أسرته وقد تكون الشخصية من الحيوان ، فيستخدم عندئذ كرمز يكشف عما وراءه من شخصية إنسانية تهدف من ورائها العبرة والموعظة ، كما في كليلة ودمنة والقصص التعليمية الأخرى .

إن الشخصية في القصة والرواية تكون مخلوقة ذهن الكاتب ، لكن هذه الشخصية ممكنة الحدوث مع الحياة الواقعية اليومية التي يحياها البشر بالفعل . والشخصية من حيث تكوينها نوعان أيضا :

- الشخصية النامية المتطورة : وهذه الشخصيات تتفاعل في الظروف والأحداث ، فتنمو وتتكامل ملامحها على امتداد الرواية ، ويجد القارئ رغبة شديدة في متابعتها وتعرف مواقفها وتحري مواقفها

الظاهرة والخفية ، فيعجب بشخصيات ويحبها ويكره شخصيات ويزدريها بناء على ما يوافق ميولهم كما ذكر طه وادي عنها :

" الشخصية التي لا تبدو للقارئ في الصفحات الأولى بل تتكشف شيئا فشيئا ، وتتطور بتطور الرواية وأحداثها وتنمو مع تغيير الأحداث ، ويكون تطورها غالبا نتيجة تفاعلها المستمر مع هذه الحوادث – أنها في حالة صراع مستمر مع الآخرين أو صراع نفسي مع الذات – وقد يكون هذا التفاعل ظاهراً أو خفياً وقد ينتهي بالغلبة أو بالإخفاق " .[1]

- والشخصية المسطحة الثابتة : وهي التي تبقى ملازمة لحالة واحدة وصفات ثابتة في الرواية مهما تغيرت الظروف ، ويتعرفها القارئ بسهولة وقد لا يجد رغبة كبيرة في متابعة مواقفها ، وهي لا تحتاج إلى تقديم وتفسير ولا إلى فضل تحليل وبيان ، كما ذكر طه وادي :

" تقوم فيها الشخصية عادة حول فكرة واحدة وتظهر في كل مواقف القصة بصورة واحدة أيضاً لا تتغير في سلوكها وانفعالاتها ولا تؤثر فيها الحوادث ، ولا تكاد طبيعتها تتغير من بداية القصة حتى النهاية ، أي لا تأخذ منها شيئا ولا تعطيها أو تزيد عليها " .[2]

د. البيئة : ويراد بها الظروف المكانية والزمانية الثابتة والطارئة التي ترافق وقوع الأحداث داخل القصة ، ويكون لها تأثيرها في تحديد مواقف الشخصيات وتصرفاتها ، إذ يقوم القاص بتصوير تلك البيئة من جوانبها المتعددة ، مركزاً في تصويره على العناصر ذات التأثير الطبيعي والاجتماعي والنفسي وعلاقة ذلك كله بطباع شخصياته القصصية وتفسير بواعثها السلوكية والمصير الذي ستنتهي إليه . وقد تكون بيئة الرواية تاريخية أو حديثة سواء أ كانت اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أومن نوع خاص كالبيئة البحرية أو حياة المدن الصناعية أو الأوساط الفنية ..... وقد تكون بيئة عامة مثل البيئة العربية أو الإسلامية أو العالمية أو البيئة التاريخية ، وقد تكون بيئة محلية مثل عودة

---

[1] . دراسات في نقد الرواية : وادي ، طه ، ص٢٧ .

[2] . المرجع السابق .

الروح لتوفيق الحكيم التي يصور فيها وعي الشعب العربي المصري وثورة الشعب المصري في زقاق المدق لنجيب محفوظ صور فيها أثر الحرب العالمية على الشعب المصري .

- **الزمان** : الزمن يعتبر عنصراً بنائياً هاماً في جميع فنون القصص منها الرواية ، فعليه تترتب عناصر التشويش واستمرار الأحداث الروائية المتتابعة ، ومن منظومة لغوية معينة تعتمد علي الترتيب والتواتر والدلالة الزمنية .
- **المكان** : له أهمية كبيرة في الرواية ، لأن الأحداث تجري فيه وتتحرك الشخصيات خلاله ، وكل حادثة لابد أن تقع في مكان معين وترتبط بظروف وعادات ومبادئ ، خاصة بالمكان الذي وقعت فيه .
- **الحوار** : هو ما يدور من حديث بين الشخصيات أو تكلم الشخصية مع نفسها ، فهو تقنية الفعل اللساني أو بمعنى آخر لسان النص الذي يعتمد على الفضاء المعرفي لدى الشخصية ، وهو وسيلة لقراءة وجهات النظر والكشف عن العمق الفكري لذهنية الشخصية ومستواها . والحوار هو وسيلة لإظهار المضمون بصورة غير مباشرة من خلال دلالات شعورية تصحبه وتفهم منه ، يفضل الأدباء أن يكون الحوار باللهجة العامية . وهناك أنواع الحوار ، منها : حوار مع الغير ، وهو لا يعني أن يكون بين شخصين ، بل يمكن أن يكون بين فرد وجماعة ، أو جماعة مع جماعة أخرى .

حوار مع النفس ، وهو حديث بلا صوت ، يدور في إطار العالم الداخلي للشخصية ، وفيه تكلم الشخصية نفسها بحديث خاص جدا ، ويستخدم الكاتب هذا النوع من الحوار الداخلي ليكشف لقارئه ما يدور في داخل الشخصية من مشاعر وأفكار ذاتية ، ويوضح ما يدور في الباطن .

- **اللغة** : هي الوسيلة التي يتعامل بها الناس في حياتهم اليومية ، فنقول بأنها وسيلة الأديب الوحيدة في التعبير ونشر أفكاره ، التي يبلغ رسالاته ونظرياته في القالب الأدبي .

ز. **الأسلوب** : هو طريقة العمل ووسيلة تعبير عن فكرة الروائي وثقافته وشخصيته بواسطة الكلمات والتركيبات . وعنصر حيوي ومؤثر أشد التأثير في القصة ، والمراد به طريقة الكاتب في استخدام كلماته هو جمله وتراكيبه حقيقة كانت أو مجازاً ، فما لم يكن للقصة أسلوب مميز موافق لأذواق القراء أو المتلقين، لم تكن القصة ناجحة . وذلك لأن الأسلوب يلعب دورا مهما في جذب انتباه المتلقي إلى قراءة القصة وتحبيبها إلى الجماهير .

ح. **الحبكة** : هي تيار الحوادث المتسلسل المترابط برباط يشد الشخصيات التي تعمل على تقويته والالتزام به إلى نهاية الرواية . تتألف من ثلاثة أجزاء :

- **الأول** : بدء (مقدمة) وهو بداية الرواية ، وربما يسرد فيه الراوي المعلومات التي يحتاجها وانتخاب الشخصيات وغيرها . ويختلف نظام العرض للأحداث والوقائع حسبما تقتضيه طبيعة الموضوع وأسلوب القاص . . . . فمنها طريقة الترجمة الذاتية ، وطريقة الرسائل والمذكرات وما إليها من الطرق .
- **الثاني** : وسط (عقدة) هو الانتقال من الرواية إلى عوامل الحركة المختلفة وهنا يقوم الراوي بتطوير الحدث حتى العقدة بتركيز .
- **الثالث** : نهاية (حل) هي نقطة التحول في الرواية وهي الجزء الذي تصير فيه الأحداث في العقدة إلى نقطة الانفجار حيث يظهر المقصود الذي ألفت من أجله الرواية .

ط. **الهدف** : ولابد لكل قصة جيدة من هدف مكنون مع المتعة والجمال تسعى إلى تحقيقه ، يدير الكاتب قصته حوله ، وتتجلى من خلالها وجهة نظر في الحياة وتفسيره لها ونقده كذلك ، والفنان القدير يحرص كل الحرص على سلامة قصته من الناحية الفنية إلى جانب مراعاته الهدف الجيد لأنه بذلك يكون أشد تأثيرا وأقوى فنا .

(يتبع)

نبذة عن مساهمة الهنود في النثر العربي في القرن العشرين

(الحلقة الثانية)

الباحث حفظ الرحمن السنابلي[1]

مساهمة الهنود في النثر العربي بتأسيس المدارس والجامعات والمعاهد الدينية :

حينما نتصفح أوراق التاريخ الناصعة حول الموضوع ، نجد أن الأعمال والمساهمات قبل القرن العشرين في النثر العربي كانت فردية لا جماعية ، بحيث لم تكن هناك معاهد وهيئات علمية سوى بعض المدارس والمساجد التي كانت تهتم بهذا الجانب إلى أن أفلت نجوم الحكومة المغلية في الهند ، وتم القضاء عليها على أيدي الإنكليز .

فأول ما التفتت إليه أنظارهم هو النظام التعليمي في الهند ، وقاموا بإنشاء الجامعات على غرار جامعة لندن ، وتصدر المسلمون هذا الموكب بتأسيس المدارس الإسلامية والمؤسسات التعليمية ، فما مضت أيام أن اكتظت الهند بالجامعات والمدارس الأهلية التي عكفت على تطوير اللغة العربية وترويجها ، درساً وتدريساً ، تدويناً وتأليفاً . وهي كما يأتي :

الجامعات الهندية الشهيرة :

جامعة كولكاتا (١٨٥٧م) ، جامعة مدراس (١٨٥٧م) ، جامعة مومبائي (١٨٥٧م) ، جامعة إله آباد (١٨٥٧م) ، جامعة بنارس الهندوسية (١٩١٦م) ، جامعة بتنا (١٩١٧م) ، الجامعة العثمانية حيدر آباد (١٩١٨م) ، جامعة علي كراه (١٩٢٠م) ، الجامعة الملية الإسلامية (١٩٢٠م) ، جامعة لكناؤ (١٩٢٠م) ، جامعة دلهي (١٩٢٢م) ، المعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية (١٩٥٨م) ، جامعة جواهر لال نهرو (١٩٦٩م) .[2]

---

[1] الطالب ببكالوريوس في التعليم والتربية، كلية التعليم والتربية، الجامعة الملية الإسلامية.

[2] مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين ، ص : ٩٥ – ١٠٠ ، ومجلة الآداب العربية ٢٠١١م ، ص : ١٣٦ .

المدارس الإسلامية للبنين :

الجامعة الإسلامية : دارالعلوم بديوبند (١٨٦٦م) محمد قاسم النانوتوي ، ندوة العلماء لكناؤ (١٨٩١م) على يد نخبة من كبار العلماء ، جامعة الفلاح بلريا غنج (١٩٦٢م) ، الجامعة السلفية ببنارس (١٩٦٣م) تشرف عليها جمعية أهل الحديث في الهند ، مدرسة الإصلاح بسرائ مير (١٣٢٧هـ) ، الجامعة الأشرفية مباركفور (١٣١٧هـ) ، جامعة مظاهر العلوم ، سهارنفور (١٨٦٦م) ، الجامعة الإسلامية سنابل بنيو دلهي (١٩٨٠م) أنشأها الشيخ عبد الحميد بن عبدالجبار الرحماني ، جامعة إمام ابن تيمية ، أنشأها الدكتور محمد لقمان السلفي ، جامعة مفتاح العلوم ، مئو (١٨٧٧م) ، دارالسلام عمرآباد (١٩٢٤م) ، جامعة الرشاد أعظم جراه (١٩٤٢م) .[١]

المدارس الإسلامية للبنات :

جامعة الصالحات برامفور (١٩٥٢م)، جامعة البنات جين فور، أعظم جراه، جامعة البنات، غيا، بيهار(١٩٨٦م)، الكلية الإسلامية، أعظم جراه (١٩٦٢م)، كلية الطيبات، سدهارت نغر، جامعة الصالحات ، سدهارت نغر، جامعة المحسنات مئو.[٢] كلية عائشة الصديقة الشرعية، بنيو دلهي، وجامعة المؤمنات الإسلامية، لكناؤ، ومدرسة نورالعلوم، لكناؤ.

مساهمة الهنود بإنشاء المكتبات والمطابع في النثر العربي :

ولست بمغال إذا قلت : لولا المكتبات والمطابع في الهند لذهبت أكثر ما وصل إلينا من النثر العربي في الهند ، لأن المطابع هي التي قامت بنشر المقالات وطبع المؤلفات ، وأما المكتبات فهي التي أكنتها في صدورها بكل صدق وأمانة ، وصانتها من تعرضها للضياع والتلف ، نذكر هنا ، من أشهرها :

---

[١] مجلة الآداب العربية ٢٠١١م ، ص : ١٢٠ – ١٣١ ، وهندوستان كي ديني درسكاهين ، الدكتور قمر الدين ، الطبعة الأولى ، جمعية " همدرد " التربوية ، نيو دلهي ، ص : ٣١٠ – ٣٤٤ .

[٢] مجلة ثقافة الهند ، العدد : ٢ ، ٢٠٠٥م ، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ، نيو دلهي ، ص : ١٨٨ ، ومجلة الآداب العربية ص ١٠٨ .

دائرة المعارف الإسلامية حيدر آباد (١٨٨٨م) ، المجلس القومي للعلاقات الثقافية (١٩٥٠م) أسسها مولانا أبو الكلام آزاد ، إدارة البحوث الإسلامية ببنارس [١] (١٩٦٣م) ، مكتبة رضا رامفور ، أسسها فيض الله خان عام ١٧٧٤م ، ثم تحولت إلى حوزة الحكومة الهندية عام ١٩٧٥م ، مكتبة خدا بخش الشرقية (١٨٩٠م) تتولى أمورها الحكومة الهندية منذ ١٩٦٩م ، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ، مكتبة الجامعة العثمانية حيدر آباد (١٩١٨م) ، مكتبة مولانا آزاد جامعة علي كراه (١٨٧٧م) ، مكتبة ذاكر حسين بالجامعة الملية الإسلامية ، مكتبة ندوة العلماء لكناؤ(١٨٩٢م) [٢] ، مكتبة دارالعلوم بديوبند (١٨٦٦م) ، مكتبة الجامعة الإسلامية سنابل (١٩٨٠م) .

مساهمة الهنود في النثر العربي تأليفا وتصنيفا :

ثم تخرج في هذه الحصون المتينة للغة العربية وآدابها كثير من الطلاب والطالبات لا عداد لهم ولا يأتي عليهم الحصر ، وانغمسوا مع تراكم الأعمال وزحمة الأشغال في خدمة اللغة العربية درساً وتدريساً ، تصنيفاً وتأليفاً ، شرحاً وتعليقاً ، ترجمةً وتعريباً ، فلنطلع عليها بشيء من التفصيل .

في علوم القرآن وتفسيره :

" تعلم لغة القرآن " للدكتور عبد الله عباس الندوي [٣] (ت٢٠٠٦م) ، " الصراع بين الإيمان والمادية " للعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي [٤] (ت١٩٩٩م) ، " يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن " لمحمد يوسف البنوري ، " الهداية القرآنية سفينة نجاة للإنسانية " للشيخ السيد محمد

---

[١] (اللغة العربية وآدابها في الهند المستقلة) " آزاد ہندوستان میں عربی زبان وادب " ، ص : ٤٧٢ — ٧٧٣ .

[٢] مجلة الآداب العربية ٢٠١١م ، ص : ١٥٥ — ١٥٨ .

[٣] انظر ترجمته : " آزاد ہندوستان میں عربی زبان وادب " ، ص : ٢٦٤ .

[٤] ارجع عن حياة الشيخ : الأستاذ أبو الحسن علي الحسني — كاتبا ومفكرا ، لنذر الحفيظ ، ومحمد عبدالله الحسني — حياته وآثاره ، أيوب تاج الدين الندوي ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م ، مؤسسة فيصل التعليمية — جامو ، ص : ٤٨ .

الرابع الحسني الندوي ، " العون الكبير في حل الفوز الكبير " للعلامة سعيد أحمد البالنفوري ، " بيان الفرقان على علم البيان " و " تفسير القرآن بكلام الرحمان " للشيخ ثناء الله الأمرتسري [1] (ت١٩٤٧م) ، " الإمعان في أقسام القرآن " لحميد الدين الفراهي [2] (ت١٩٣٠م) ، " الفتح السماوي بتوضيح تفسير البيضاوي " لمحمد إدريس الكاندهلوي (ت١٩٧٤م) ، " تفسيرات شيخ الإسلام ابن تيمية " لإقبال أحمد الأعظمي (١٩٧١م) ، " جهود أهل الحديث في خدمة القرآن " لعبد الرحمن الفريوائي ، " رياض البيان في تجويد القرآن " لمحمد مسعود الندوي . [3]

في علوم الحديث وشرحه :

" التعريف الوجيز بكتب الحديث الشريف " لسلمان محمد طاهر الندوي ، " المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف " لأبي الحسن علي الحسني الندوي (ت١٩٩٩م) ، " سبل السلام في شرح بلوغ المرام " للعلامة نور الحسن القنوجي ، " بلوغ المرام مع اتحاف الكرام " لصفي الرحمن المباركفوري [4] ، " التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح " لمحمد إدريس الكاندهلوي (ت١٩٧٤م) ، " تنقيح الرواة في تخريج أحاديث المشكاة " لعطاء الله حنيف البهوجياني ، " أوجز المسالك إلى مؤطا الإمام مالك " للشيخ المحدث محمد زكريا الكاندهلوي ، " جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة " لعبد الرحمن الفريوائي ، " مرعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح " لعبيد الله المباركفوري ، " غاية المقصود في حل سنن أبي داؤود " لمحمد شمس الحق العظيم آبادي ، " عون المعبود شرح سنن أبي داؤود " لأبي عبد الرحمن شريف الحق ، " تحفة الأحوذي بشرح جامع

---

[1] انظر ترجمته في " نزهة الخواطر" ص : ٨/٩٥ .

[2] ارجع عن حياته : نزهة الخواطر ص : ٨/٢٢٩ .

[3] الثقافة الإسلامية في الهند ، عبد الحي الحسني ، الطبعة ١٩٥٨م ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ص : ١٦١ - ١٧٥ . و مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين ، ص : ١٤٨ – ١٥٦ .

[4] انظر ترجمته في " الرحيق المختوم " .

الترمذي " لعبد الرحمن المباركفوري [1] ، " فيض الباري على صحيح البخاري " لأنور شاه الكشميري [2] ، " بذل المجهود في شرح أبي داوود " لخليل أحمد السهارنفوري ، [3] " روائع الأعلاق في شرح تهذيب الأخلاق " للأستاذ الدكتور أبي سحبان روح القدس الندوي ، " مبادئ وأصول في علم حديث الرسول " للأستاذ بلال عبد الحي الحسني الندوي . [4]

في السير والتراجم :

" نفحة العنبر في حياة الشيخ الأنور " لمحمد يوسف البنوري ، "رحمة للعالمين " للقاضي محمد سليمان المنصورفوري ، " الرحيق المختوم " لصفي الرحمن المباركفوري ، " السيرة النبوية ، ورجال الفكر والدعوة في الإسلام ، والنبوة والأنبياء في ضوء القرآن ، ومحمد رسول الله " للعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي (ت١٩٩٩م) ، " الرسالة المحمدية" للسيد سليمان الندوي ، " ابن كثير : حياته وخدماته " لمسعود الرحمن الندوي ، " الصحابة ومكانتهم في الإسلام " لنور عالم خليل الأميني ، " الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي : كاتباً ومفكراً " لنذر الحفيظ الندوي ، " رجال السند والهند " للقاضي أطهر المباركفوري [5] (ت١٩٦٦م) ، " حياة الصحابة " لمحمد يوسف الكاندهلوي (ت١٩٧٣م) ، "مولانا أبو الكلام آزاد : زعيم ومفكر هندي " للدكتور محمد اجتباء الندوي ، " نزهة الخواطر " لعبد الحي الحسني (ت١٩٢٣م) . [6]

في تاريخ الأدب العربي :

" تاريخ الأدب العربي " لواضح رشيد الندوي ، " تاريخ الأدب

---

[1] انظر ترجمته في " نزهة الخواطر" ص : ٢٤٢/٨ .

[2] أماثل كشمير ، الدكتور محمد مظفر حسين ، سنة الطباعة ٢٠٠٤م ، بيت الحكمة الندوية – سري نجر ، ص : ٢٦٨ .

[3] الثقافة الإسلامية في الهند ، ص : ١٣١ – ١٦١ ، مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرن ،ص :١٥٩- ١٧٧ .

[4] انظر ترجمته في : محمد الحسني – حياته وآثاره ، ص : ٤٤ .

[5] انظر عن حياته : " آزاد ہندوستان میں عربی زبان وادب " ، ص : ١٦١ .

[6] المصدر السابق ص : ٤٢٠ ، والثقافة الأسلامية في الهند ، ص : ٥٧ – ١٠٠ ، مساهمة الهند في النثر العربي . . . ص : ١٧٨ – ٢٠٤ .

العربي ، والأدب العربي : بين عرض ونقد " لمحمد الرابع الحسني الندوي ، " حقيقة الأدب ووظيفته في ضوء تصريحات الأدباء والنقاد " لمقتدى حسن الأزهري [1] (ت٢٠٠٩م) ، " شعراء الرسول في ضوء الواقع والقريض " للأستاذ سعيد الأعظمي [2] ، " منهج التنوير في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب " للدكتور عبد الحليم الندوي ، " الروائع والبدائع في البيان النبوي " لمحمد نعمان الدين الندوي ، " العرب وأدبهم " لمحمد يوسف الكوكني " (ت١٩٩٠م) ، " نظرات في الأدب " لأبي الحسن علي الحسني الندوي (ت١٩٩٩م) ، " اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون " لرضوان علي الندوي ، " الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية منذ الاستقلال في عام ١٩٤٧م " لعبد الحق شجاعت علي ، " مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي حتى عام ١٩٨٠م " للدكتور زبير أحمد الفاروقي ، " الصحافة العربية في الهند : نشأتها وتاريخها " للدكتور أيوب تاج الدين الندوي . [3]

في الأدب واللغة :

" نفحة العرب " لمحمد إعزاز علي القاسمي (ت١٩٥٤م) ، " جمهرة البلاغة " للشيخ عبد الحميد الفراهي (ت١٩٣٠م) ، " القراءة الواضحة " لعبد المجيد الإصلاحي ، " القراءة الراشدة ، وقصص النبيين ، ومختارات من أدب العرب " لأبي الحسن علي الندوي (ت١٩٩٩م) ، " تمرين الدروس " لعلي أحمد الكياني الندوي ، " القراءة الواضحة " لوحيد الزمان الكيرانوي [4] (ت١٩٩٥م) ، " دروس الأطفال " لعبد الله عباس الندوي (ت٢٠٠٦م) ، " منتخبات من الأدب العربي " للسيد وصي مظهر الندوي ، " القصص الشهيرة " لعبد الغفار الندوي ، " منشورات من أدب العرب "

---

[1] انظر عن حياته : " آزاد ہندوستان میں عربی زبان وادب " ، ص : ٣٣٧ .

[2] انظر المصدر السابق ، ص : ٢١٢ .

[3] مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين ، ص : ١٠١- ١٤٧ ، و " آزاد ہندوستان میں عربی زبان وادب " ص : ٤٢٢ .

[4] انظر ترجمته : مجلة الآداب العربية ٢٠١١م ، ص : ٢٣٩ ، و " آزاد ہندوستان میں عربی زبان وادب " ، ص : ٢٩٧ .

لمحمد الرابع الحسني الندوي ، " اللغة العربية الوظيفية " لشفيق أحمد الندوي والدكتور حبيب الله خان والسيدة فرحانة طيب الصديقي (ت٢٠١٣م) ، التعبير والمحادثة العربية لمحمد اجتباء الندوي [١] ، " معلم الإنشاء " لعبد الماجد الندوي . [٢]

في الفقه الإسلامي :

" نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين " لمحمد أنور شاه الكشميري ، " أعلام أهل العصر بأحكام ركعتي الفجر " لشمس الحق العظيم آبادي ، " جامع الآثار " للشيخ أشرف علي التهانوي [٣] (ت١٩٤٣م) ، " القواعد الفقهية " لعلي أحمد الندوي ، وعلق على " كتاب الأصل " و "النكت" أبو الوفاء الأفغاني ، [٤] و" الفقه الميسر " للأستاذ شفيق الرحمن الندوي.

في الفلسفة والكلام :

" رسالة التوحيد " عربه وعلق عليه أبو الحسن علي الحسني الندوي (ت١٩٩٩م) ، " إظهار الحق " للعلامة خليل الرحمن الكيرانوي (ت١٨٩١م) ، " عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام " لأنور شاه الكشميري ، " الكلام الموثوق في تحقيق أن القرآن كلام الله غير المخلوق " لمحمد إدريس الكاندهلوي [٥] (ت١٩٤٧م) ، " الإضافة القدسية في المباحث الحكمية ، ونسيم الكلام في تأييد شريعة خير الأنام " لمحمد شريف مصطفى (ت١٩٥٢م) . [٦]

---

[١] انظر ترجمته : " آزاد ہندوستان میں عربی زبان وادب " ، ص : ٣٠٦ .

[٢] المصدر السابق ، ص : ٤١٨ – ٤١٩ ، ومساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين ، ص : ١٠١ – ١٤٧ .

[٣] نزهة الخواطر ، ص : ٥٦/٨ .

[٤] مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين ، ص : ٢٢٥- ٢٢٧ ، الثقافة الإسلامية في الهند ، ص : ١٠٢ .

[٥] " آزاد ہندوستان میں عربی زبان وادب " ، ص : ٣١٢ .

[٦] المصدر السابق ، ص : ٤٢٢ ، ومساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين ، ص : ٢٢٨ – ٢٣٠ .

في النحو واللغة :

" مصباح اللغات " للأستاذ عبد الحفيظ البلياوي [1] ، " بيان اللسان" للقاضي زين العابدين ، " المبتكر فيما يتعلق بالمؤنث والمذكر " لذوالفقار أحمد النقوي ، " أدب العرب " للشيخ ثناء الله الأمرتسري (ت١٩٤٧م) ، "قاموس القرآن " للشيخ زين العابدين الميرتهي ، " القاموس الجديد ، والقاموس الاصطلاحي (من العربية إلى الأردوية وبالعكس) ، والقاموس الوحيد " لوحيد الزمان الكيرانوي (ت١٩٩٥م) ، " روضة الأدب في تسهيل كلام العرب " لمشتاق أحمد الشرثالوي ، " تعليم لغة القرآن الكريم " لعبد الله عباس الندوي (ت٢٠٠٦م) ، " مرقاة الأدب " لامتياز علي ، " تسهيل الصرف وتسهيل النحو " لمحمد صديق الباندوي (ت١٩٩٧م) . [2]

في الدراسات الإسلامية والقضايا الأخرى :

" ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، وإذا هبت ريح الإيمان ، وإلى الإسلام من جديد ، المسلمون وقضية فلسطين ، وربانية لا رهبانية " لأبي الحسن علي الحسني الندوي (١٩٩٩م) ، " الثقافة الإسلامية في الهند" لعبد الحي الحسني (ت١٩٢٣م) ، " تاريخ بدء الإسلام " لشبلي النعماني [3] (ت١٩١٤م) ، " تراث المسلمين العلمي في نظر شيخ الإسلام ابن تيمية " لعبد الرحمن الفريوائي ، " الثقافة الإسلامية والواقع المعاصر " لمحمد الرابع الحسني الندوي ، " نظرات إلى مواقف المسلمين من أحداث الخليج ، ومشكلة المسجد البابري في ضوء التاريخ والكتابات المعاصرة " لمقتدى حسن الأزهري ، " أسباب سعادة المسلمين وشقائهم في ضوء الكتاب والسنة " لمحمد زكريا الكاندهلوي (ت١٩٨١م) . [4]

(يتبع)

---

[1] انظر ترجمته : " *آزاد ہندوستان میں عربی زبان وادب* " ، ص : ٢٥٢ .

[2] المصدر السابق ، ص : ٤١٧ ، ومساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين ، ص : ٢٣١- ٢٣٢ .

[3] نزهة الخواطر ، ص : ١٧٤/٨ ، و " *آزاد ہندوستان میں عربی زبان وادب* " ، ص : ٩٥ .

[4] مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين ، ص : ٢٣٤ – ٢٦٥ ، والثقافة الإسلامية في الهند ، ص : ٥٧ – ١٠٠ .

سلوى بكر .... رائدة في قضايا المرأة في العصر الحديث

الأخ وسيم أحمد الندوي [1]

إن أرض مصر خصبة وغنية في كل مجال من مجالات الحياة ، لها دور كبير في تطوير العلوم الإسلامية واللغة العربية وآدابها في العصر الحديث حيث نهض الأدب فيها . وكانت مصر هي المنبع والمنهل للأدب واللغة العربية كما ظهرت فيها المدارس الأدبية التي كانت منهاجاً لأدباء العرب ، مثل مدرسة الإحياء والبعث ومدرسة الديوان ومدرسة أبولو . وبرز هناك عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء والكتاب والمؤرخين وأصحاب الفلسفة في العصورالمختلفة الطويلة إلى عصرنا هذا ، والذين قاموا بخدمات جليلة في مختلف المجالات الأدبية من الرواية والمسرحية والقصة القصيرة وما إلى ذلك . ويرجع الفضل كله إلى أدبائها وكتابها في تجديد اللغة العربيّة وتطويرها في العصر الحديث ، بعد أن غزا نابليون بونابرت مصر عام ١٧٩٨م . وهذه الحملة الفرنسية تسببت في تطوير الأدب العربي الحديث في مصر بعد عهد طويل من الركود بسبب عدم اهتمام الخلافة العثمانية تجاه اللغة العربية وآدابها . وقد أدّى هؤلاء الأدباء دوراً حيويا في تطوير اللغة العربية وإيصالها إلى قمة الكمال . ومن بين هذه الشخصيات البارزة الفذة محمود سامي البارودي وحافظ إبراهيم والشيخ محمد عبده وأحمد شوقي وإبراهيم عبد القادر المازني وعباس محمود العقاد وطه حسين ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وغيرهم . ثم جاء بعدهم جيل سلك مسلكهم و قفا أثرهم ، ومن بين هذه الشخصيات البارزة الفذة هي شخصية سلوى بكر التي تحتل مكانة مرموقة في الأوساط العلمية والحلقات الأدبية ، لأنها أدّت ولا تزال تؤدي دورا مهما في تطوير الأدب العربي الحديث عن طريق كتابة القصص القصيرة والروايات والمسرحيات والمقالات والصحافة ، ولا تزال تعتني عناية بالغة بتنمية اللغة العربية وآدابها

[1] الباحث في جامعة جواهر لعل نهرو، بنيو دلهي .

حتى اليوم وبإضافتها في ثروة اللغة العربية وآدابها وفنونها المختلفة وابتكارها وجدتها .

وُلدت سلوى بكر في عام ١٩٤٩م بأسرة متوسطة في محافظة " المطارية " وحصلت على التعليم الابتدائي في مدرسة حكومية في مدينة " الزيتون " التي تقع في شمال شرق القاهرة ، ثم ذهبت إلى المدرسة الثانوية في " سرايا القبة " القريبة من جنوب غرب الزيتون . ولما أكملت دراستها الثانوية التحقت بكلية التجارة في جامعة عين شمس في القاهرة في شارع الخليفة المأمون العباسية التي تخرجت فيها بشهادة البكالوريوس في إدارة الأعمال في عام ١٩٧٢م ، ثم حصلت على القبول في كلية الآداب حيث تخرجت فيها بشهادة النقد المسرحي في عام ١٩٧٦م ، وعلى هذا النحو إنها حصلت على شهادتين للبكالوريوس إحداهما في إدارة الأعمال وثانيتهما في النقد المسرحي . وفي غضون ذلك وجدت فرصة للعمل في الحكومة بصفة مفتشة التموين الغذائي من عام ١٩٧٤م إلى ١٩٨٠م والتي مكنتها من التفكير في الأوضاع المتواجدة في النساء الفقيرات والمسكينات في القاهرة حينئذ ، وذلك لأنها قد شهدت اندلاع الاضطرابات للخبز في عام ١٩٧٧م التي تختص بارتفاع معدلات التضخم والمشاكل الاقتصادية وارتفاع أسعار البقالة .

تنتمي سلوى بكر إلى جيل الكاتبات المصرية في عام ١٩٧٠م التي عاشت في عصرالأحلام المتكسرة لاشتراكية جمال عبد الناصر و وحدته العربية والثورات السياسية المختلفة التي حدثت في عهد أنور السادات في مصر ، وكذلك نتائجها السياسية والاقتصادية في عهد حسني مبارك . وتعالج معظم رواياتها وقصصها القصيرة المطبوعة باللغة العربية في وسط الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن التاسع عشر بسياسة الانفتاح للسيد أنورالسادات التي تتميز بالفساد واللاأمن في السياسة داخل المجتمع. وأما نظام السلطة الأبوية للمجتمع الذي فرض الحظر على مساهمة النساء في الحياة السياسية والاجتماعية وخنق أصواتها فقد تسبب للنساء أن يسألن عن قيمتهن الاجتماعية ، وبالتالي قد برزخيال التحول الاجتماعي في أذهانهن .

والجدير بالذكر أن هذه الشخصية الفذة الممتازة التي تُعرف بكاتبة نسائية كرست حياتها لتحرير النساء من القيود الاجتماعية وبذلت قصارى

جهودها في سبيل إعطائهن الحقوق الأساسية اللازمة حتى اتصلت قضية " التقدم الوطني " بقضية " تحرير النساء " من العوائق والقيود الغير الملائمة . غير أن كثيراً من الكتاب المصريين أثاروا هذه القضية قبلها . ووضع الحجر الأساسي للحركة النسائية في مصر لأول مرة وهو شخصية لا تحتاج إلى التعريف مزيداً ، بحيث إن اسمه يكفي وهو قاسم أمين الذي برز على منصة الشهود في عام ١٨٦٣م وقام بطباعة كتابيه المبدعين المبتكرين " تحرير المرأة " في عام ١٨٩٩م و " المرأة الجديدة " في عام ١٩٠٠م . ثم سلك مسلكه كثير من الأدباء والكتاب ، ومن بينهم يجدر بذكر أسماء بعض الكاتبات العربية الشهيرة للغاية ههنا وهي نوال السعداوي (من مواليد عام ١٩٣١م) ولطيفة الزيات (من مواليد ١٩٢٣م) وليلى بعلبكي (من مواليد ١٩٣٦م) ورضوى عاشور وسلوى بكر (من مواليد ١٩٤٩م) .

إن قضية إخضاع المرأة واستغلالها وانعزالها ليست فريدة لأي دولة من دول العالم بل لها تاريخ طويل عبر العصور والحدود . وفي هذه الأيام قد أصبحت قضية المرأة مهما للغاية بنشر المعلومات والاتصالات والتقدم في التكنولوجيا الجديدة . وأدى الوعي السياسي والاجتماعي والثقافي دورا حيوياً في هذا الصدد بين الرجال والنساء على السواء ، ولذلك لا نجد أية شعبة من شعب الحياة حيث لا توجد امرأة حتى في الهند فضلا عن الدول الغربية .

تُعد سلوى بكر إحدى الكاتبات في القرن العشرين التي أثرت الحياة الثقافية والفنية في أيام دراستها . إنها غزيرة الإنتاج الأدبي ورفيعة المستوى في القصة والرواية والمسرح . وعُنيت عناية بالغة بحياة النساء الفقيرات في مصر ورسمت صورة متوازنة لحياتهن وجدّت لتحريرهن وسعت لتحسين أحوالهن الاجتماعية واجتهدت لضمان الحرية والمساواة والعدالة لهن ولتوفير الحالة المعادلة والمرافق الأساسية لهن في كل شعبة من شعب الحياة التي يتمتع بها نظراؤها من الذكور . وبالرغم من الرقابة والحظر على أنشطة النساء من قبل الدولة قد برز عدد كبير من النساء المثقفات اللائي شعرن بألم النساء وكتبن مشاكلهن في الروايات والقصص والمقالات

وذكرن التجارب والخبرات عن العنف والظلم والعدوان ضدهن في المجتمع المصري .

حينما نمعن النظر في كتابات سلوى بكر نقف على أنها تعكس مشاكل تطبيقية واجهتها المرأة سواء كانت متعلقة بقلة الفرص الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لديها أو المكانة السفلى المتواجدة لها في المجتمع ، قد ضربت هذه الأديبة البارعة مثالا لأمها بحيث أنها مُنعت للحصول على الدراسة العليا لما بلغت سن البلوغ باسم حماية سمعتها ، مما يجعل حياتها بعيدة عن احتمال التطلعات والنمو وبالتالي لا تجد نفسها مرتاحة البال مع المعرفة والموارد القليلة عندما تكون الأرامل والمطلقات أوالمنفصلات وما إلى ذلك ، غير أن الأديبة تُقدم الجانب الإيجابي للمرأة التي تستفيد بمعرفتها التطبيقية لإثبات وجودها على هامش المجتمع .

إن شخصية سلوى بكر هي شخصية مصرية معروفة لدى العالم العربي والعالم الغربي على السواء وتقوم كتاباتها على إدانة العادات المصرية الراهنة والتقاليد الاجتماعية والاعتقادات الثقافية بحيث إن المرأة مسؤولة بنفسها لسوء أحوالها وعدم سعادتها في المجتمع وخير شاهد على ذلك أن معظم رواياتها وقصصها ومقالاتها تعكس آلام المرأة وهمومها في الحياة اليومية في المجتمع العربي . ومع ذلك إنها تُظهر غضبها على التصرفات الثقافية والمؤسسات الاجتماعية والسياسات الاقتصادية التي تشكل حياة المرأة .

من جهة ، تُظهرأقوالها وقصصها كلتاهما غضب الكاتبة بشأن مكانة المرأة في المجتمع المصري . ومن جهة أخرى ، تعكس كتاباتها أيضا حبها للفقيرات غيرالمثقفات القاطنات في المدن . وكذلك تُركز معظم قصصها على الجمال الجوهري في لغة المرأة والطبيعة الفنية في تعبيراتها والاتزان في نمط كلامها والأهم من ذلك استخدامها اللغة الفصحى والعامية معاً . إن الكاتبة تُبين شدة إيمان المرأة بالله ومعتقداتها في الكيانات الخارقة للطبيعة ، وفي الوقت ذاته تقوم بتقديم سخرية لطيفة على هذه المعتقدات ، وتصل إلى نتيجة إلى أن الوضع الأسوأ للمرأة في المجتمع ليس هو إلا بسبب عدم عناية الحكومة تجاهها .

ومن أبرز ميزات كتابتها هو جهودها المتواصلة للتدليل على التراث الذكوري في اللغة والتغلب على هيمنة الأبطال الرجالية في القصص والروايات والمسرحيات والحوار وغيرها لكي تُشعر عالم الأدب العربي بوجودها بصفتها كاتبة عربية لم يسبق إليها أحد من قبل ، وإعطائها مكانة مرموقة للنساء في الآداب العربية كما يتمتع الرجال . وفي وجهة نظر الكاتبة هذا لا يعني أنها ترفض كليا قطعة أدبية قيمة للرجال بل تعني أنها تريد التجنب عن العناصر التي تشير بوضوح أن الرجال بمفردهم هم قادرون على ابتكار الأدب الرائع والجدة فيها ، بل إنها تشدّد على أن النساء أيضا قادرات على ذلك على السواء . هذه حقيقة ناصعة ، إن الكاتبة قادرة على اللغة العربية بحيث إنها تستطيع أن تستخدم الأدب كيفما تشاء ولديها القدرة الكاملة والبراعة التامة على الأدب العربي واللغة العربية وتخلق حماساً ورغبة في قلوب القراء وأذهانهم لكي يقوموا بإعادة تقويم الأقدار الاجتماعية والمؤسسات .

وبجانب مشكلة الرقابة على الكاتبات العربية كنّ قد اضطررن بمواجهة العناد والمعارضة تجاه أعمالهن المهنية ، والجدير بالذكر ههنا أن كتابة القصص والروايات والمسرحيات والمقالات لم تكن تُعتبر مهنة يمكن أن يتخذها فرد لمستقبله ، وخير شاهد على ذلك أن الفائز بجائزة نوبل في الآداب نجيب محفوظ لا يزال يقوم بأعماله الأدبية ونشاطاته العلمية بالرغم أنه تولى على منصب مدير مؤسسة لدعم المسرح والسنيما . وتشير الكاتبة إلى نقطة هامة وهي أن المسؤولية تقع على عواتق المثقفين وكواهلهم أن يُقاوموا لحقوق الأميين في مثل هذا المجتمع المتشدد والمتصلب حيث لا يُوجد أي احترام للنساء أو هناك قليل من الاحترام .

هناك قضايا عديدة متعلقة بالنساء مثل تعدد الزوجات والطلاق والإنجاب وتربية الأطفال والتفضيل الكبير للطفل على الطفلة في المجتمع العربي ، والأهم من ذلك الوفاء بمتطلبات عائلتها ومطالبها مع مهنة بصفة مديرة مدرسة تنعكس في كتابها الشهير"انترناشيونال ويمين دي" .وإضافة إلى ذلك عودتها من الغرب بعد قضاء فترة إلى وطنها العزيز تهزها

وتُسخطها وتجعلها متشائمة حينما تُشاهد الحواجزوالعوائق في سبيل أحلامها التي رأتها للحرية والمساواة خلال إقامتها في الغرب .

ومن حسن الحظ أن الوعي الاجتماعي والسياسي في النساء ينشئ الشعور تجاه حقوقهن وواجباتهن ويحدث التحول الاجتماعي عبر العالم العربي والذي يُمكّنهن أن يستخدمن إلى حد كبير الحرية ووسائل النمو الشخصي حيث لا تحتاج امرأة إلى حماية من قبل الزوج والأقارب .

ملخص القول أن مكانة المرأة ومستويات معيشتها في المجتمع العربي لا تزال تتحسن أحوالها ، ولكن لدينا مسافة طويلة في هذا الاتجاه لتحقيق هدف الشمول الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمرأة .

المراجع والمصادر:

١. النساء سلوى بكر وعربتها الذهبية بقلم فاروق عبدالقادر ، القاهرة: دار الشرقية ، ١٩٩٣ .

٢. قراءة في روايات سلوى بكر " العربة الذهبية لا تصعد إلى السماء " ، لطيفة الزيات ، القاهرة ،١٩٩٢ .

٣. مذكرات في سجن النساء ، نوال السعداوي ، بيروت : دار المستقبل العربي ، ١٩٨٤ .

4. Women and Words in Saudi Arabia, Saddeka Arebi, New York:Columbia University Press, 1994.
5. Five Egyptian women tell their stories, Nayra Khul-Khaal Atiya, Cairo: The American University in Cairo Press, 1984.
6. Feminists, Islam and Nation, Margot Badran, Princeton University Press, 1995.
7. Egyptian Women's writing and creativity, Osman Etidal, Journal of Middle East Women's Studies, Vol .2, No .1,pp .95-121,winter, 2006.

صور و أوضاع

إعادة الموازين إلى حقيقتها

الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي

قال شاعر هندي : " إنك إذا سميت العقل جنوناً ، والجنون عقلاً ، فليفعل جمالك الفاتن ما شاء " . فالجنون هكذا يجري ويعم في العالم اليوم ، فقد انقلبت الموازين ، فأصبح الخير والدعوة إليه شراً ، والعمل والدعوة للإصلاح ومكافحة المنكر من المجتمع إرهاباً ، وقد كان ذلك في الماضي رجعية وتزمتاً ، كان ذلك بتأثير الفكر المادي ، الذي عم في عصر غلبة الحضارة الغربية ، التي قامت على أساس أفكار مادية ، وعلى رأسها الفكر المكيافيلي الذي يقول : إن الأهداف هي الأصل ، والوسائل تابعة لها ، ولا شرط فيها للخير والشر .

وقال أحد المفكرين في تعريف الأصولية التي أصبحت اليوم مشبوهة ومردودة : إن إطلاق الخير والشر على أساس غير مادي هي الأصولية ، ومعنى ذلك أن الأصول والمبادئ والقيم لا اعتبار لها في هذا الزمن ، وقد عم هذا الاتجاه بعد الثورة على الدين ، نتيجة للنهضة التي قامت على أساس العلم والعقل المجرد . وقال مثل : إذا ذهب الحياء فافعل ما شئت ، أو يقول المثل : " إذا لم تستح فاصنع ما شئت " ، والحياء من تعاليم الدين ، سواء فيه سائر الأديان ، كذلك كرامة الإنسان واحترامه ، والتجنب من الإساءة إليه من تعاليم سائر الأديان ، والمسيحية تدعي بأن الحب هو الإله ، ولكن من الغريب في هذا الزمن أن الذين نسبوا أنفسهم إلى المسيحية هم أكثر الأقوام ممارسة للعنف وإهداراً لكرامة الإنسان ، وإنهم هم الذين سادوا بتفوقهم في الصناعة الحربية ، وقد فاقت فيها الدول الأوربية المسيحية ، وهي تحتكر صناعة أشد الأسلحة تدميراً ، وكل من يستخدم الأسلحة الفتاكة التي تدمر وتهلك الحرث والنسل يجدها مصنوعة في الدول الأوربية ، وبالإضافة إلى الأسلحة الفتاكة التي أصبحت مصدراً رئيسياً لها ، وتقوم بأعمال العنف ، والإرهاب ، وتملك هذه الدول الأوربية وكالات عالمية للأنباء ،

وهذه الوكالات والمخابرات تبرر ما تقوم به هذه الدول ، وتقدِّم الخير كالشر والشر كالخير ، مركزها الدول الأوربية . وهذه الوكالات قد تدبر حركات تحدث قلاقل واضطرابات في العالم ، بتقارير مزورة وتحليلات مغرضة ، وتسبب التحليلات ردود فعل في العالم ، وتصرفات طائشة ، وهناك وكالات للمخابرات تملكها هذه الدول المتقدمة ، وهي معروفة في العالم ، ولها فروع في الدول الإسلامية والأفريقية المتخلفة .

وبالإضافة إلى هذه الوكالات ومصانع الحرب التي تبحث عن سوق لها ومستثمر لها ، هناك وكالات ، وهي وكالات الإعلام التي تزود العالم بالأخبار ، وتتبعها وكالات فرعية في الدول المتخلفة ، لها أغراض وأهداف ، تخضع لمصالح الدول الكبرى ، وتقوم بعمل البلبلة الفكرية وتشويش الأذهان ، فقد كان الإعلام في العصر البدائي للإعلام وسيلة للأخبار ، فأصبح اليوم وسيلة للتشويش ، وقد تفاقم خطره بتسلط أصحاب الثروات الذين استولوا على وسائل الإعلام .

وقد اختار هذا الطريق اليهود عندما قرروا امتلاك الصحف أو التسلط على الإعلام ، كذلك قرروا التسلط على وسائل مادية ، فامتلكوا الاقتصاد والإعلام ، وقرروا أن يعرف الناس ما يريدون أن يعرفوه ويخدموا مصالحهم .

إن هناك لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة ، وقد اختارت الأمم المتحدة ميثاق حقوق الإنسان لإقرار الأمن والسلام ، وكرامة الإنسان ، وصيانة حريته في العقيدة والثقافة واللسان .

ولكن الواقع اليوم يختلف كلياً عن مدلول هذا الميثاق ومعناه في كل مكان ، ولا يلائم الإنسان الضعيف ، ويعكر صفو حياته ، ويقمع حريته ، وحتى في الدول الأوربية التي تعتبر حرية الإنسان أساس الحضارة ، فتفرض هذه الحضارة والثقافة قيوداً على ما لا يلائم فكرها ومصلحتها ، ويواجه الإنسان عقبات في السفر من مكان إلى مكان ، ويواجه تعذيباً وتنكيلاً ، على أساس شبهة أو نفع مادي .

هذه هي الظاهرة المنتشرة في العالم ، فلا يقرأ أحد الصحف أو يشاهد مشهداً أو يسمع ، إلا ما يقلقه ويشوش ذهنه .

هذه هي العناصر الرئيسية للاضطراب في العالم لسوء استخدامها وتصرفها ، وقد توغلت آثار هذه العناصر في الحياة الفردية والجماعية ، فتؤدى إلى صراعات ، وتنميها وتفخمها الدول التي تملك هذه الوسائل لخدمة أهدافها . إن هذا الوضع إذا لم يوضع له حد فإنه سيؤدي إلى مأساة إنسانية كبرى ، لا تقل عن الحرب الكونية .

ويعمم هذه التصرفات والاتجاهات نظام التعليم والتربية المادي ، الذي ليس له مجال للتربية الدينية والخلقية .

وهناك وكالات عالمية للإغاثة والإسعاف ، وقد شاهد العالم في العصر الأخير عدم فعالية الأمم المتحدة ووكالاتها كلجنة حقوق الإنسان ، ووكالات الإغاثة والإسعاف الإنسانية في عدة مواضع في العالم ، وعدم تدخلها وتمثيل دورها لمنع عمليات العنف والإرهاب ، بل إبادة الجنس البشري ، ولازمت الصمت على حدوث مجازر في عدة أنحاء العالم ، وقد تعرض المسلمون خاصة لهذه العمليات وإجراءات التعسف من فرض قيود على ثقافتهم وعقيدتهم ، وممارسة نشاطاتهم لإصلاح شئونهم ، وبسبب هذا التعطل وعدم التدخل لهذه الوكالات التي تتعلق بحقوق الإنسان استمر تصرف القوى الكبرى وتدخلها في الشئون الداخلية لفرض سيطرتها ، وتحويل الأمور إلى ما يخدم مصلحتها ، وقد كان في السابق من مسئولية هذه الوكالات التدخل اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً لمنع الظالم عن الظلم ، واعتداء القوي على الضعيف ، حتى التمييز العنصري ، فكان لها تأثير على بقاء جو الأمن والسلام وسلامة الدول الأعضاء للأمم المتحدة .

ومن المؤسف أن وكالات الإعلام قدمت صوراً مزورةً عن الأحداث وأغفلت المظالم والاعتداءات ، لأن الجانب المظلوم لم يكن مظلوماً في ميزانها ، ويدل ذلك على تأثير قلب الموازين والمكاييل للنظر إلى الأعمال .

إن هذا الوضع يدعو إلى تفكير إنساني لصيانة الإنسان من الهلاك، والعالم من الدمار ، وذلك من واجب كل من يحمل قلباً إنسانياً وهمّاً إنسانياً ، وقوةً لمنع الشر ، ولا يتعاقب ذلك إلا بإعادة الموازين إلى حقيقتها ، وإعادة الأمور إلى مجراها الصحيح .

إلى الإسلام من جديد

أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك

محمد فرمان الندوي

الإسلام دين الصدق والأ مانة ، لا دين الغدر والخيانة ،والأمانة كلمة جامعة، وردت في القرآن الكريم ست مرات : مرتين في السور المكية(المؤمنون:٨ – المعارج:٣٢) ،وأربع مرات في السور المدنية (الأحزاب:٧٢ ،البقرة: ٢٨٣ ، النساء:٥٨ ،الأنفال:٣٢) وهي خصلة تجمع بين الأصول والفروع من الإيمان والعمل الصالح ،وهي عماد الدين وعماد المجتمع المسلم كذلك،وبها وعليها تقوم وتنشأ جميع الروابط بين الناس أفراداً وجماعات لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: بئست البطانة الخيانة. (سنن أبي داوو : ١٥٤٧)

الأمانة لها أشكال وأنواع ، فهناك أمانة مع الله ، وأمانة مع الناس ، وأمانة مع النفس ، فالأمانة مع الله في تقواه ، وصدق العبودية له، وإخلاص العمل في السر والعلن قال الله تعالى : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (الأنفال : ٢٧) ، والأمانة مع الناس هي من قبيل الودائع التي يضعها بعض الناس عند البعض الآخر ، وترك التطفيف في الميزان ، وفي البيع والشراء ، يقول الله : إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا (النساء : ٥٨) ، والأمانة مع النفس في الاغتنام للوقت والصحة والمال وعدم الاستسلام لدوافع الشهوة والغضب والزيغ والانحراف. قال صلى الله عليه وسلم : اغتنم خمساً قبل خمس:شبابك قبل هرمك، صحتك قبل سقمك، غناك قبل فقرك، فراغك قبل شغلك، حياتك قبل موتك (شعب الإيمان: ١٠٢٤٨)

هناك أمانة إلهية عظيمة ،عجزت السموات والأرض والجبال عن حملها و حفظها ،ولكن حملها الإنسان،فالمقصود من هذه الأمانة : المسؤولية والتكليف ، الملقى على عاتق الإنسان ، وأريد منها القرآن ، كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

الأمانة لها أبعاد مختلفة و واسعة في حياة الإنسان ، فالماء والتراب والهواء وجميع ما خلقه الله تعالى من الكائنات الطبيعية لتيسير حياة الإنسان أمانة ، فالأموال والثروات والمناصب أمانة ، والأطفال لدى والديهم أمانة ، والطلاب لدى معلميهم أمانة ، والمرضى لدى أطبائهم أمانة ، والحياة أمانة ، تعد التفريط فيها خيانة فاحشة ، وجاء فيما رواه الترمذي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيمَ أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه (رقم الحديث : ٢٤١٧) ، وقال صلى الله عليه وسلم : لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج وطنطنتهم بالليل ، ولكن انظروا إلى صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وقال صلى الله عليه وسلم : أدّ الأمانة للبر والفاجر ، فيما قلَّ وجلَّ ، حتى في الخيط والمخيط . وقال صلى الله عليه وسلم : أدالأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك (السنن الكبرى للبيهقي:٢١٨٣٨)

إصدارات جديدة

" أدب الأطفال العربي في الهند "

للأستاذ السيد محمد طارق الندوي

تعريف بقلم الأخ غياث الإسلام الصديقي الندوي*

يحتل أدب الأطفال مكانة مرموقة عند المهتمين بالتعليم والتربية ، لأنه يؤدّي دورا مهما في توجيه الأطفال وتحديد مسارهم التربوي ، بما في ذلك تزويدهم بالقيم ، والشعور بالحب والكراهية بين الأشياء حسب المحتوى الذي يتقرر في ذهن الطفل لأن العلم في الصغر كالنقش في الحجر ، فلا يزال تأثيره يبقى إلى آخر أيام حياة الطفل ، حتى بعد كونه شابا وشيخا . ولذلك اهتم المسلمون بإعداد كتب مناسبة لأذهان الأطفال في كل عصر ومصر . وساهم المسلمون الهنود كذلك في هذا المجال ، منهم العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي ، والأستاذ وحيد الزمان الكيرانوي ، والشيخ محمد إعزاز علي ، والأستاذ محبوب الرحمن الندوي الأزهري ، والدكتور عبدالله عباس الندوي ، والبروفيسور محمد اجتباء الندوي ، والبروفيسور شفيق أحمد خان الندوي ، والبروفيسور سيد إحسان الرحمن ، والدكتور محمد لقمان السلفي، والدكتور بشير أحمد جمالي .

ولكن كان هناك فراغ لكتاب يجمع في طيّه المجهودات الأدبية والتعليمية التي بذلها المؤلفون الهنود في هذا الصدد . فاختار الأخ سيد محمد طارق الندوي ، الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بكلّية ذاكر حسين التابعة لجامعة دلهي ، هذا الموضوع وألّف هذا الكتاب الذي يشتمل على ٢٧٢ صفحة من الحجم المتوسط ، وأصدره " الهادي للدراسات العربية الهندية " ، نيودلهي ، الهند ، في عام ٢٠١٣م .

يحتوي هذا الكتاب على مدخل وأربعة أبواب وخاتمة وكلّ باب يتكوّن من عدّة فصول . وفي إعداد هذا الكتاب استفاد المؤلف من ستة وثمانين مصدرا بما فيها المؤلفات والمجلات والجرائد والدوريات العربية والإنكليزية والمواقع الإلكترونية . قدّم له سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء بلكنؤ ، ورئيس مكتب شبه القارة الهندية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، فأشاد به إشادة موفورة وقال :

---

* باحث ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة دلهي ، ومحاضر ضيف ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلّية ذاكرحسين دلهي التابعة لجامعة دلهي .

" فقد استعرض (المؤلف) الأعمال التي قام بأدائها رجال من الهند ، وبحث مدى نجاح المؤلفين في تأليفاتهم للأطفال حسب مستوى عقليتهم ومعرفتهم . . . . وأفاض في الاستعراض والبحث لمؤلفاتهم للأطفال إفاضة حسنة، وقصر عمله هذا في شأن اللغة العربية ، واستعرض في مبدأ البحث أعمال المؤلفين لأدب الأطفال ، وبحث في شأن الأدب وجوانبه المختلفة ومقتضياته الفنية ، وأفاض فيه إفاضة حسنة ، وأدّى حق البحث والتحقيق في هذا الموضوع ، وأثبت بذلك براعته في إعداد بحثه فهو يستحق التقدير في عمله هذا " . (ص١١)

حاول المؤلف في هذا الكتاب أن يحيط بالجهود الأدبية العربية للأطفال التي بذلها المؤلفون المسلمون في الهند بالإضافة إلى معظم المقررات الدراسية التي ألّفوها لمبتدئي اللغة العربية وهي رائجة في المدارس الحكومية والأهلية في الهند .

وفي الباب الأوّل تعرّض المؤلف لتعريف الأدب وفوائد علمه ، وتعريف أدب الأطفال ومدلوله العام وأغراضه ومكوناته وأنواعه ، كما تعرض لقصص الأطفال وأنواعها لدى العرب ، وتطرّق إلى الحكاية والرواية والخرافة والأسطورة والمسرحية والشعر بما فيه الشعر الملحمي والغنائي والتعليمي والأناشيد ، وعرّف بصحافة الأطفال . وكذلك استعرض الصلات الهندية والعربية عبر التاريخ الحديث ، وبالتالي سرد الكتب العربية المؤلفة في شبه القارة الهندية منذ بداية الأدب العربي فيها إلى عام١٨٥٧م ، ثمّ ألقى ضوءا على تطور اللغة العربية فيها منذ عام١٨٥٧م حتى تأليف هذا الكتاب .

قدّم المؤلف في الباب الثاني استعراض المؤلفات العربية الهندية الخاصة بأدب الأطفال وبتعليم اللغة العربية بما فيها " قصص النبيين للأطفال " في خمسة أجزاء ، و " القراءة الراشدة " في ثلاثة أجزاء للعلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي . يقول المؤلف في صدد الكتاب الأخير: " الميزة التي تميز هذه السلسلة (القراءة الراشدة) عن الكتب العربية الأخرى الهادفة إلى تعليم الهنود العربية : هي أن المؤلف لم ينس أنه يؤلف السلسلة للطلاب الهنود الذين يحتاجون إلى تعلم اللغة العربية وفي نفس الوقت هم في حاجة قصوى للتكيف مع ما وجد ويوجد في محيطهم الجغرافي . أمّا الكلمات والجمل فهي تدل بكل صراحة على أن المؤلف راعى مستوى القارئ فأتى بما هو سهل الفهم وقريب الإدراك . وقد تم تصنيف الدروس حسب الأغراض العديدة فمنها ما تتعلق بالأشياء المهمة في الحياة من الخبز والعين والتراب ، والدروس الدينية والخلقية، والدروس المأخوذة من الحياة الاجتماعية ، والدروس التي تحاكي حكايات الحيوانات والنبات ، والدروس المتعلقة بالمختبرات الحديثة ، والدروس المأخوذة من الشعر والمدح ، والدروس من التاريخ الإسلامي وتلخيص التاريخ الهندي

الإسلامي والمعاهد الدينية " . (ص ٦٩ – ٧٠)

ذكر المؤلف في هذا الباب كتابا مهمّا في مجال تعليم العربية وهو " اللغة العربية الأساسية لغير الناطقين بها " في ثلاثة أجزاء للبروفيسور شفيق أحمد خان الندوي بمشاركة من البروفيسور محمد أيوب تاج الدين الندوي ، والدكتور نسيم أختر الندوي . وهذا الكتاب لتعليم طلاب المدارس العصرية التي تستخدم اللغة الإنكليزية كلغة وسيطة لها . يتعلم الطالب أساسيات اللغة العربية بذلك ، فيتدرب على المهارات اللغوية الأربع بصورة تلقائية . وذلك لأن المؤلفين اهتموا بتقديم أنماط لغوية بسيطة مستخدمة في الحياة العادية ، وترسيخها إلى قلب الدارس عن طريق الصور والتدريبات اللغوية المتنوعة من غير أثقال صرفية ونحوية إلاّ أنّهم أوضحوا ، مع ذلك ، قواعد ضرورية في نهاية الكتاب كملحق لكلّ درس من الدروس كلاً على حدة مع مفردات جميع الدروس ومعانيها بالإنكليزية ، بالإضافة إلى ترجمة توجيهات التدريبات إلى الإنكليزية لكي يتسنّى للمعلمين والوالدين تعليم أطفالهم في الفصول وفي المنازل بأنفسهم على السواء .

أمّا الباب الثالث فهو يشتمل على مساهمات العرب للأطفال . ألقى فيه المؤلف ضوءا على تطور أدب الأطفال في العالم العربي ويرى أن الأدب العربي القديم لا يوجد في طياته نوع يمكن تسميته " أدب الأطفال " بمعناه الحديث فيقول : " كان الشعراء القدامى يقرضون شعرا يتضمن موضوعات الغزل والرثاء والمدح والوصف ، ولم يكن غرض هذه الموضوعات تربية الأطفال وتهذيب عقولهم . ونفس الحكم ينطبق على الأدب العربي المنثور القديم الذي يتشكل من النصائح والوصايا والخطب وما إلى ذلك . فنجد للأديب الشهير ابن المقفع كتابين أولهما " الأدب الكبير " الذي يحتوي على كلام عن السلطان وعلاقته بالرعية وعلاقة الرعية به . وثانيهما " الأدب الصغير " فهو حول تهذيب النفس وترويضها على الأعمال الصالحة . . . . . إنه قد نشأ إثر التبادل الثقافي والحضاري بين العرب والغرب في حين تطورت العلاقات بينهما ، وسنحت للعرب الفرصة للوقوف على الآثار الأدبية العالمية ،وبدؤوا بترجمتها إلى العربية".(ص ١٠٣)

يقدّم المؤلف استعراضاً تاريخياً لتطور أدب الأطفال في العالم العربي الحديث فذكر ثلاث مراحل لتطوره بما فيها مرحلة الترجمة والتعريب ، ومرحلة التأصيل ، ومرحلة التأليف المستقل في هذا المجال . ثمّ تطرّق المؤلف إلى بعض مؤلفات العرب في أدب الأطفال ؛ فأوّلا استعرض الآثار النثرية الخاصة بالأطفال وتناول عشرة مؤلفات بما فيها " ألف ليلة وليلة " ، و " الموسوعة العلمية الأولى للأطفال " . وبعد ذلك استعرض الآثار الشعرية الخاصة بالأطفال فتناول كتابين في هذا الموضوع وهما " شعر الأطفال تجارب في الإبداع " للدكتور أنس داؤد ، و "

مجموعة من النظم للحفظ والتسميع " للأستاذ محمد شريف سليم . ثمّ تطرّق المؤلف إلى المجلات والصحف الخاصة بالأطفال فتناول سبع مجلّات بعضها توقف إصدارها في الماضي ، وبعضها لاتزال تصدر في مختلف الدول العربية فهي " مجلة سند باد " ، و " مجلة براعم الوسط " ، و " مجلة أسامة " ، و "مجلة العربي الصغير" و" مجلة باسم "،و" مجلة ميكي" ،و" مجلة نيلوفر" .

وفي الباب الرابع قام المؤلف بدراسة تحليلية ونقدية لبعض أعمال العرب والهنود حول أدب الأطفال بما فيها " قصص النبيين " في خمسة أجزاء للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، ومجموعة " القصص العربية " لكامل الكيلاني ، و " القراءة الرشيدة " لعبد الفتاح الصبري بك وعلي عمر بك ، و " صندوق الدنيا " للجنة التابعة لدار المعارف بمصر، و " حكايات شهرزاد " للجنة المؤلفين التابعة لدارشهرزاد ، بيروت ، و " مجلة الرائد " الصادرة عن دارالعلوم لندوة العلماء في لكنؤ[1] ، و "مجلة العربي الصغير" الصادرة عن وزارة الإعلام لدولة الكويت .

استعرض المؤلف أعمال العرب والهنود المذكورة في هذا الباب من الجوانب المتعددة ؛ استعرضها من حيث اللغة والأسلوب فاقتبس عددا ملحوظا من فقرات النصوص الأدبية من الكتب المذكورة لإيضاح مستوى اللغة المستخدمة فيها ، وخصائصها الأدبية والفكرية ، وتقويم أسلوبها . ثمّ تناول المؤلف محتويات الكتب المذكورة بالبحث والنقد ، وقسم في ضوئها أنواع نصوصها كما يبدو له فمثلا قال في استعراض المحتويات لمجموعة " العربية للأطفال " التي أعدّتها لجنة التربية الإسلامية والبحوث بكوزي كوت ، كيرالا بالهند :

" ومن ناحية المحتويات تدور هذه المجموعة حول ثلاثة أنواع وهي كما يأتي :

أ. العادات التي تتعلق بالقيم العالية والأقدار الفاضلة من احترام الوالدين والأمانة والصدق والنظافة والعدل كما في " سلام الله يا أمي " في الجزء الأول ، وقالت أمي وهي تنادي في الجزء الثاني ، و " أمي لا تكذب أبدا " في الجزء الثالث .

ب. الموضوعات التي تتعلق بالمعاملة الحسنة مع المحتاجين والمساكين والحيوانات وذوي الحاجات كما في " قطتي الحبيبة " في الجزء الثالث ، و " أرضي خضرة " في الجزء الرابع ، و " مدرسة مثالية " في الجزء السادس .

ت. الموضوعات التي لها علاقة بالإيمان بالله وبرسوله واحترام كتابه واتباع

[1] الرائد صحيفة بالعربية صدرت في عام ١٩٥٩م من دارالعلوم لندوة العلماء برئاسة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي (رئيس ندوة العلماء العام) اليوم ، وهي ليست للأطفال ، إنما هي للكبار من الدعاة والأدباء وأساتذة اللغة العربية وإن كان فيها ركن صغير للأطفال في الصفحة الأخيرة . (سعيد الأعظمي)

هديه والمتعة في أداء الفرائض والواجبات الشرعية كما نجد في " كتاب الله والسنة " في الجزء الأول ، و " نشيد الحب في شفتي " في الجزء الثاني ، و " يا إلهي يا إلهي " في الجزء الثالث " . (ص ١٦٣)

وعقب التعرض للمحتويات ، تناول المؤلف أهداف الكتاب وأغراضه بالعرض والنقد . ونذكر هنا على سبيل المثال ما قاله في صدد " القراءة الواضحة " لصاحبه الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي :

" ومن حيث المجموع فقد نجح المؤلف في التوفيق بين الموضوعات الدينية والعلمية والموضوعات التي لها علاقة بالحياة العادية ، وهكذا لم يقتصر في تلبية الأغراض السامية التي كانت تعد أساسا لبناء مستقبل الصغار اللامع . ومع ذلك تحتاج هذه المجموعة إلى إعادة النظر لأن الأغراض والأهداف مهما بلغت في سموها وعلوها ، تتغير مع تغير الزمان . ففي العصر الراهن لا حاجة لطفل صغير أن يتعلم عملية صنع الصابون بل هو في حاجة إلى تعلم تطوير البرمجيات لأن التجارة والصناعة والأعمال المهنية قد أصبحت تابعة للحاسوب وبرمجياته . وكذلك ، تغيرت أساليب الكتابة بالعربية . وبدأ الناس يميلون إلى أسلوب سهل وشيق ورغبوا عن أسلوب المقامات ونفحة اليمن وغيرهما من الكتب القديمة " . (ص ١٨٤)

وعلى هذا المنوال تمت الدراسة التحليلية والنقدية لعديد من أعمال العرب والهنود في مجال أدب الأطفال . وبعد الفراغ من هذه الدراسة عقد المؤلف عنوانا باسم " الملاحظات " ، وذكر فيها ما استفاد بعض المؤلفين الهنود من بعض المؤلفات العربية . وينتهي الكتاب بالخاتمة التي قدّم فيها المؤلف خلاصة البحث وأثار بعض الأسئلة تجاه أدب الأطفال واللغة العربية في الهند ثمّ أجابها نفسه . وفي غضون هذه الدراسة أورد المؤلف عدّة مقتبسات متسمة بروعة بيانية وجودة فكرية أضافت إلى إفادة هذا التأليف وجعلته كتابا أدبيا رائعا .

وفي نهاية المطاف لا يمكننا إلاّ أن نقول إنّ الأستاذ سيد محمد طارق الندوي قام بإنجاز قيم عن طريق هذا الكتاب فإنه بحث شامل من حيث الموضوع ، ومفيد للغاية لمعلمي اللغة العربية ودارسيها لكونه أوّل كتاب في الهند يشتمل على معظم المجهودات العربية الخاصة بأدب الأطفال ومبتدئي اللغة العربية في الهند ، وهو يسدّ فراغاً كبيرا في تاريخ أدب الأطفال العربي في الهند ، ويفي بضرورة كبيرة في مجال التعليم والتربية . فنرجو أن هذا الكتاب سيستفيد منه كلّ من يهتم بتعليم الأطفال هذه اللغة الميمونة في الهند . والحمد لله أوّلا وآخرا ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

رجل فقدناه

العلامة الشيخ المفتي الحكيم أحمد حسن خان الطونكي في ذمة الله

أخبرنا فضيلة الأستاذ الدكتور محمد أكرم الندوي من (أوكسفورد، المملكة المتحدة) بوفاة المحدث الجليل المسند الشيخ المفتي أحمد حسن خان الطونكي، وذكر سلسلة سنده في الحديث الشريف والعلوم الإسلامية بتفصيل فقال:

" العلامة الجليل المحدث المسند المعمر الفقيه المفتي الطبيب الحكيم أحمد حسن بن المنشي محمد عبد المجيد خان السيد محمدي الكمال زئي نسباً الطونكي وطناً.

ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف مولد شيخنا أبي الحسن علي الندوي، وأخذ اللغة الأردية من المنشئ محمد رفيق خان، والمولوي عبد الرحمن سرخ بوش، واللغة الفارسية من عمه المولوي عبد الحليم كمال زئي، وخاله المنشئ عزيز الرحمن خان سالار زئي مدرس المدرسة الناصرية، والتاريخ والحساب والجغرافيا من المنشئ أحمد علي، والسيد محفوظ، والسيد حسن ميان، والسيد مصطفى علي، وأخذ الصرف والنحو واللغة والأدب والمنطق والفلسفة والفقه وأصوله والبيان والمعاني من الشيخ عبد الحي.

وأخذ مختصر القدوري، وشرح عبد الرحمن الجامي على الكافية، وهداية الفقه، والهدية السعيدية، ومصطلحات الحديث، ومشكاة المصابيح من الشيخ فضيل الرحمن، ونوادر الأصول شرح الفصول، وشرح الوقاية، وهداية الفقه (بأكمله)، والموطأ برواية محمد، وتفسير الجلالين، ومختصر المعاني، والسراجي، ونخبة الفكر، وشرح العقائد النسفية من الشيخ محمد عرفان، وبعض أبواب صحيح البخاري من الشيخ عبد الستار، والميبذي، والتوضيح والتلويح من الشيخ عبد الرحمن الجشتي، وتاريخ الأدب العربي، والعروض، والقوافي من العلامة يوسف خان الأفغاني، وأزهار العرب، والفخري، والكافي في العروض والقوافي، وديوان الحماسة، وديوان المتنبي، والمعلقات السبع من الشيخ محمد السورتي.

وأخذ القراءة والتجويد عن محمد مصطفى مكي بن حافظ محمد صديق الطونكي بروايته عن القارئ المقرئ عبد الملك العليكرهي

المدرس الأعلى في المدرسة الفرقانية ببلدة لكنؤ، عن المقرئ الشيخ عبدالله، عن الشيخ إبراهيم سعد، عن حسن بدير، عن الشيخ محمد متولي، عن الشيخ محمد التهامي، عن الشيخ أحمد سلمونه، عن الشيخ إبراهيم العبودي، عن عبد الرحمن الأجهوري بإسناده إلى حفص عن عاصم.

وأخذ الطب والحكمة من المفتي الحكيم خليل الرحمن (أقدم تلامذة الحكيم السيد بركات أحمد)، والحكيم السيد أمير حسن سها المحدث الدهلوي الملقب بتاج العلماء وقلزم العلوم، والقاضي محمد عرفان خان صدر المفتين، وغيرهم.

وعني بالتدريس والإفتاء، وعين مفتيا في المحكمة الشرعية بطونك، وكذلك عمل طبيبا في جيبور.

وطبعت فتاواه، وتمتاز بعمق العلم والفقه، والفهم والحكمة، والنصح للمسلمين، وقد شرفني الله تعالى أن كتبت مقدمة على مجموعة فتاواه، فلله الحمد والمنة.

وأجازني يوم الجمعة رابع عشر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وألف إجازة عامة، وهو آخر من روى عن العلامة حيدر حسن خان الطونكي وأخيه العلامة محمود حسن خان الطونكي، ولله الحمد.

توفي يوم الجمعة في الخامس والعشرين من صفر سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة وألف، المصادف ٢٤من شهر نومبرعام٢٠١٦م" (محمد أكرم الندوي).

تغمده الله تعالى بواسع رحمته وغفر له زلاته وأكرمه بالمغفرة وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وجميع تلاميذه المنتسبين إليه الصبر الجميل ووفقهم للدعاء للراحل الكريم.

(ملحوظة) ولقد كان هذا العاجز قد حضر إلى جيفور في مؤتمر الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند في عام ٢٠١٤هـ، فكان من حسن أخلاق الشيخ رحمه الله وتكريمه لجماعة العلماء أنه عقد جلسة خاصة بإجازة رواية الحديث بسنده في ساحة جامعة الهداية بإشراف فضيلة الشيخ فضل الرحيم المجددي الندوي، وقد أكرمني الله تعالى بأن جعلني أول من شرفه بهذه الإجازة الكريمة، فلله الحمد وهو ولي التوفيق.

(سعيد الأعظمي)